

# المجلة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

ساحب المجلة ومديرها  
ودئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بتاربع السلطان حسين  
رقم ٨١ — مابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٦٤٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٤ ذو الحجة سنة ١٣٦٤ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

## خواطر...

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

كتب إلى بعضهم يستشيرني في العيد كيف يقضيه حتى  
عن هذا يسأل بعضهم ! وقد حزت كيف ، وبماذا أجيب ؟ ثم  
خرجت من المازني الذي زج في فيه سؤاله بكتاب وجيز ، هذا  
بعض ما فيه :

« والشرط في العيد أن يشتري لك سواك كسوة ، فإذا  
لم يوفقك الله لهذا ، أو كنت ممن يشترون ولا يشتري لهم ،  
فلا عيد لك . ويجب أن يكون مع الكسوة لعبة — أى لعبة —  
كرة ملونة مخططة ، أو زبارة ، أو حصان خشبي ، أو ماشئت  
غير ذلك ، على أنك سألتني فأنا أختار لك « البارود » إذا كنت  
غلاماً ، وإذا كنت لا تعرفه فأعلم أنه « فتيل » ملفوف عليه  
ودق أحمر ، وبعض في سمك القلم ، والبعض أسماك من ذلك جداً ،  
والأول يُرمس في حلبة ، والثاني يستعمل فرادى لضخامته . وإذا  
أشعلت النار في هذا أو ذاك ، انطلق منه مثل أسوات البنادق  
والدافع . أما إذا كنت « بنتاً » فأنا أشير عليك بما يسمى  
« على لوز » وهو سكر يُحمل ويُعقد ، ويزين بالورق والبتق  
والفتق ، وما إلى ذلك ، وتحمله الفتاة في طبق — بعد أن يرد  
لثلاث حرق أصابعها الناعمة — وتدور به على الصبيان تيمم منه ،

كل مل ملقة صغيرة بيلم ، وهذا هو السر القديم ، وزادته جائرة .  
« وأحرص على أن تعطى في العيد بلا تقدير أو حساب ،  
فتأخذ باليمين لتتفق بال شمال ، وكلما قرعت يدك وذهب ما معك ،  
عدوت إلى أملك تطلب منهم أن يعطوك ، وتبكي وتصييح وتندبب  
برجليك — ويديك أيضاً إذا شئت — وتصرخ على البساط ،  
أو البلاط وهو أفضل — إذا أبطأوا وتلكؤوا في العطاء ، أو  
بخلوا به . فإذا ملأوا جيوبك قروشاً ذهبت إلى الأراجيح ،  
وبعضها خيل تدور براكيها حتى تدور ردوسهم ، والبعض  
« ذلك » أربع كل اثنتين منها متقابلتان ، تدور كالساقية  
وأنت معها ، فتسر أو تخاف ، وتصرخ أو تفتي على هواك ،  
والذلك دائرة كالإيم ، ساعده بك طوراً ، وطوراً هابطة ،  
لا تنال — كالأيام أيضاً — انحسرت أم بكيت ، وقرحت أم  
جزعت . ومن الأراجيح أيضاً نوع لا أشير به عليك إذا  
كنت فتاة ، فإنه يسميك ويطيّر ثوبك عما تحته ، وهو عبارة  
عن لوح مشدود من الجانبين إلى حبلين معلقين ، يقف عليه الفتى  
وعكس الحبلين بيديه ، ويروح يدفع اللوح بقدميه ، فيندفع من  
الخلف إلى الأمام ، ومن الأمام إلى الخلف ، فإذا كنت قوياً أو  
مدرباً ، يبلغ بك علواً كبيراً .

« وإذا لم يعجبك هذا الذي أترح فإنه لا يبق لك إلا أن  
تذهب إلى القبور فتدور موتاك ، وتشرح عليهم وتستغفر لهم ،  
والسلام . »

وهو ينضج بشرا وابتهاجا ، وفي عينيها وميض الحب ، وقد خيل إلى ، وأنا أنظر إليهما كأنهما تشتهى أن تأكلاه  
وقد سلم على يومئذ بغير استخفاف ، وبغير احتفال كذلك .  
ولم يتمهل إلا ربنا يهز يدي ، ويسألني عن صحتي ، كمادته كلما  
لقيني ، ولم يستعجل أيضا ، ولم أر على وجهه ولا في سلوكه ما يدل  
على أنه مزهو بمصاحبة هذه الحسنة الفاتنة . فكان هذا أمر  
عادي جدا ! فسيحان ربي القادر .

\*\*\*

وعلى ذكر التعجب أقول إن عجبى لا ينقضى من عجز الإنسان  
وجعله . نعم استطاع أن يخترع الآلة الميكانيكية مثلا ، فهو يرسل  
الموجة من جهاز قمضى في الجو إلى أطراف المعمورة ، ويلتقطها  
جهاز آخر فتستحيل كلاما وغناء وموسيقى . وهذه الأجهزة  
مصنوعة من مواد يستخرجها الإنسان من الأرض التي يعيش  
عليها ، وهو أيضا مخلوق من طينها ، وفي بدنه كل عناصر هذه  
الأرض ، ومع ذلك لم يخطر له أن يحتال حتى يتخذ من بدنه  
جهازين للإرسال والتلقي ، أو أن ينسى قدرته على ذلك ، فإن  
الناس يتفاهمون بالنظر إلى حد ما ، فإذا يمنع أن يتسع نطاق  
التفاهم حتى يشمل كل شيء ، فيستغنى الإنسان عن أداة اللثة  
التي قل أن يحسها والتي هي عنوان العجز والقصور ؟

وأمر آخر : حطم الإنسان القنطرة ، وهي لا ترى لا بالعين  
ولا بالمجهر . وأطلق بتعطيمها قوة مهولة مفرقة ، استخدمها أول  
ما استخدمها في التدمير ، وسيستخدمها - إذا لم تقض عليه  
قبل ذلك - في التعمير . وما من شك في أن في الإنسان طاقات  
عبوسة أو مستكنة أو راكمة لو أطلقت بحساب وقدر - حتى  
لا تمصف به - تبلغ من القوة والإقتدار درجة يعجز الخيال عن  
تمورها . ولكنه لا يفعل ، ولعل العلماء الذين حطموا القنطرة لم  
يخطر لهم أن يعالجوا القيام بشيء من التعطيم في جسم الإنسان ،  
وقد يحتاج ذلك إلى زمان طويل ، وقد يستغرق الاهتمام إلى  
وسيلة مأمونة لتعطيم ذوات الإنسان وإطلاق طاقتها بقدر إلى  
قرن أو أكثر ، ولكن ما قرن إذا قيس إلى هذه الناية التي تقلب  
الإنسان ماردا حيارا ؟

ابراهيم عبد القادر المرنيسي

وقد ندمت بعد أن وضعت الكتاب في صندوق البريد ،  
لأنني خفت أن يصدر عن رأيي ، فيفضل ما أشير به ! ومن الغريب  
أن هذا هو الرد الوحيد الذي يثبته علي ما جاءني من الرسائل  
في شهر كامل !

صدق من قال : يُناب المرء رغم أنه !

\*\*\*

ما أعجب غرور الإنسان ! وما أحوج الإنسان إليه !  
لي صديق - وفي هذا مبالغة قليلة ولكنه لا ضير منها -  
ليس بينه وبين النوريللا فرق ، وقد اعتاد أن يتخذ مكانه كل  
يوم على مقهى يكثر مرور الناس - رجلا ونساء - على رصيفه ،  
وهو على طريق في أغلب غدواتي وروحاتي . ومن عجب أمره أنه  
شديد التأنق في ملبسه ، كأن من الممكن أن يحجب حسن المندام  
قبح الوجه وسخافة القوام . وكان أدلى به في رأيي أن يتواري  
عن البيوت في مقهى في زقاق ضيق إذا كان لا بد من الجلوس في  
مقهى . وقد سأله مرة وقد ألع على في مجالسته : لماذا تؤثر هذا  
المكان والضجة فيه عظيمة !

قال « أفرج على الناس »

قلت « أو يتفرجون عليك ! »

فلم يسهو قولي بل ضحك وقال « لا بأس : يتفرجون وأفرج »

قلت « وأنت أنك تحمد الماقية ! »

قال « لاشك ! أنظر إلى هذه الفتاة التي ترشقى بنظرها »

الحلوة »

فأحتقني واستغفرتي هذا النور وقلت « لملك تظن أنك »

فتفتها بيمالك ؟ »

فما انهزم والله ، بل قال « وهل في هذا شك ؟ »

فلم أطلق صبرا على هذا النور فأنصرفت عنه ، وإلى لأدري  
أن بالإنسان حاجة إلى قدر من النور يعود به ويعمل عليه ،  
ويستمد منه القدرة على احتمال حياته ، ولكن هذا قد جار على  
نصيب جيله كله من النور .

وقد تعجبت في مستهل هذه الكلمة لنور الإنسان ، وأنا  
أختمها بالتعجب من المرأة ؛ فقد رأيت أجمل امرأة أختتها عيني  
في حياتي ، تأبظ ذراع هذا النوريللا ، وتثنى إليه عياها الصبيح

## من ماضى مصر

### بين فرنسا وإنجلترا

#### للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

—•••••

إن ما يحدث في الشرق الأوسط والأدنى من الحادثات ، ويقع فيها من تولية أو عزل للحكام والحكومات ، ويجرى من السياسات ، كل أولئك أمور يستقد أناس كثيرون أنها جميعاً من تصرف الشرقين وحدهم ، وأنها لا أثر فيها لنفوذ غيرهم أو لدس أو سياسة من سواهم ؛ لكنها أمور لا يستقل الشرقيون دائماً بالرأى فيها منذ ضمت الدول الشرقية أو تخلفت ، بل ينفل أن تسبها وتلعب بها أيدي صنّع أجنبية ظاهرة أحياناً وتارة خفية وهذا مقال وجيز جاء بمثال أو أمثلة في موضوعه ، فليس يزعم أنه يبين جميع ما وقع لمصر مع فرنسا وإنجلترا من جرّاء تعاديهما ، وطمعهما وتنافسهما الاستعماري ؛ وإنما غرضه الإشارة الخفيفة إلى أثر ذلك التعادى والطمع والتنافس في بعض حوادث هذا القطر المتصل بالشرق الأدنى ، والنسب إلى البلاد العربية بخلط في دم أهلها ، وبلقهم وتآله ثقافتهم .

•••••

طال العداء بين فرنسا وإنجلترا دهرأً تحاربتا فيه حرباً عواناً ، وخصوصاً لهدد حكومات الثورة الفرنسية الكبرى وإمبراطورية نابليون ، بسبب للبادى الثورة وأعمال أصحابها ، والسيادة الدولية والبحرية ، والتجارة والاستعمار . وقد ظلت إنجلترا في تلك الأيام تؤلب الدول الأوروبية على عدوتها اللدود ؛ ودخلت الحرب في الحلف الدولي الأول على فرنسا بعد أن أعدمت لويس السادس عشر سنة ١٧٩٣ ؛ ولم تكف إنجلترا بعد انحلاله ، بل بقيت تحارب ، وألّيت الحلف الثانى الذى تحطم ، ثم انتهت حرية سنة ١٨٠٢ بمعاهدة أميان Amiens بينها وبين فرنسا .

فكانت إنجلترا في حرب مستمرة مع فرنسا يوم نزلت حملة بونابرت بأبي قير طام ١٧٩٨ ، ويوم أبحر عائداً إلى فرنسا ، ثم تبعه الجنرال بليار Belliard يقسم من الحملة في ٧ من أغسطس

عام ١٨٠١ ، فتبعهما الجنرال منو Menou في الشهر التالى بالقسم الباقى . وجاءت معاهدة أميان بعد ذلك بنحو نصف عام .

وكانت مصر على الدوام محسدة الدول التى سادت العالم القديم : لأنها كانت مركزه الجغرافى ، ولأنها تمكن من السيادة على البحر المتوسط . ومفتاح هذه السيادة هو على الأصح تونس لوقوعها في منتصف البحر وإشرافها على شتّى الشرق والغرب ، وعلى صقلية ومضيق مسينا الفاصلين بينهما . بيد أن مصر أيضاً مشرفة على البحر المتوسط ومشرفة مع ذلك على البحر الأحمر ، وهى منفذ إلى الهند ووصلة بين أفريقية وآسية ، ومجاز إلى طرقها البرية . وقد أبحر نظر بونابرت إلى مصر منذ كان يحارب فى إيطاليا حيث انتصر وعد انتصاره طالع سعدة ، ومنها كتب إلى تاليران Talleyrand سنة ١٧٩٧ : « لن نلبث ملياً حتى نحس أنه ليس يد من أن نمتلك مصر لتحطم إنجلترا » . ولما عهدت إليه حكومته فى الاستعداد لغزو الإنجليز شرع يستعد ؛ غير أنه وضع مشروعاً للاستيلاء على مصر ، وشرح لحكومته ما يتجنيه فرنسا من الثمرات إذا هى استبدلته بغزو إنجلترا فوكلت إليه قيادة الحملة وفتح القطر .

وملخص الأسباب التى شرحها بونابرت فى إظهار مشروعه أن مصر أخصب أرض وثروتها الزراعية والحيوانية عظيمة ؛ ولأنها كانت ممرى رومة وهى يومئذ هى القسطنطينية ، ومجمع القوافل الأفريقية والآسيوية ، ومحل تبادل المتاجر الشرقية والأوروبية ؛ فإذا قامت فيها إجارة فرنسية خمسين عاماً زيد عدد سكانها زيادة كبيرة ، وتصبح سوقاً ومصرفاً لمصنوعات فرنسا ؛ وإن حلول الفرنسيين بمصر يضر إنجلترا ، وعكسهم من السيادة على البحر المتوسط فيوطد الإمبراطورية النمانية ؛ وإذا كان الانهيار مقدراً عليها أخذت فرنسا أحسن حصة من ملبها ؛ فإذا استعمرت فرنسا مصر ، أو جعلتها مستودعاً للمتاجر أو موطئاً تنفض منه على مؤسسات الإنجليز فى الهند ، كان لها أن تستيقن بأنها سترد التجارة الكبرى إلى طرقها الطبيعية فتصل إلى الثغور الفرنسية ، لأن فرنسا أحسن الدول الغربية الكبيرة موقعاً بالنسبة إلى مصر

•••••

نزلت الحملة الفرنسية بإسكندرية فى أول يولية عام ١٧٩٨ ،

ورقاه خلف كليبر في القيادة العامة إلى رتبة لواء (جنرال) وعينه مساعداً للجنرال بليار في دفع الجيوش الإنجليزية والتركية عن القاهرة ، فدهو وفرقة القبطية — عند استسلام العاصمة في ١٧ من يونيو عام ١٨٠١ — من الجند الموكلون أمرهم إلى بليار وأبحر مع هذا القسم من جيش الحملة إلى فرنسا على تلك السفينة الحربية الإنجليزية .

قال الجنرال يعقوب لقائد السفينة ، في حديث لم يحضره سوى رجل من أصل فرنسي اسمه لسكري Lascaris جاء من مالطة مع الحملة التي استولت عليها في الطريق إلى مصر : إنه يُعبر مشروعاً لاستقلال مصر يريد من القائد أن يبلغه عنه سراً إلى الحكومة البريطانية . وخلصته أن مصر إذا استقلت فإمّا تكون في حكم الخاضعة لانجلترا سيدة البحار ، وإن تكون أبداً إلا دولة زراعية غنية بأرضها الخصبة وبتجارة افريقية الوسطى ؛ وهذه الفوائد تنفي الأمة التي لها دائماً أعظم مصلحة في تجارة مصر وبحارها ، بسبب الهند ؛ وهذا الاستقلال لا يكون انقلاباً أحده نور العقل أو قلق الخواطر بعبادى فلسفية متناقضة ، بل يكون تغيّراً سببه عمل قوة قاهرة في حال أناس هادئين جهلاء ، لا يعرفون على التقريب سوى النعمة والخوف ؛ فلا يكون في استطاعة المصريين أن يحموا استقلالهم من الأوربيين قبل زمن مديد ، حين تنتظم القوة الأهلية وتصبح مهينة ؛ أما حمايته من الترك أو الممالك فإن الدول الأوربية تستطيع أن تحرمهم كل اعتناء على مصر ، ويمكن أن يستأجر المصريون فرقة أجنبية مساعدة تجمع إثني عشر ألف رجل أو خمسة عشر ألفاً ، فتكون نواة الجيش المصري وتكفي لإيقاف الترك في الصحراء وإبادة الممالك داخل مصر ؛ ومصر منقسمة طوائف وشيماً يسهل ترجيحها إلى الاختلاف لتوازن ؛ — وهو ومن معه من الأقباط وقد متصل بها جميعاً ، مفوض إليه من وجهاء الإخوان الأحرار أن يفاوض الدول في الاستقلال (ولو فوزه أحد في شيء من نحو ذلك لما خفى جملة الأمر على مثل الجبرتي) ؛ وغرضه أن يفاوض بطريقة تجعل فرنسا هي البادئة بطرح المشروع على إنجلترا إذا أيقنت هذه الدولة يفوائده السياسية فجزمت على تأييده عند عودة السلام العام إلى أوربا فلا يتعرض الوعد لرفض مشروعه بسبب التنازع بين هاتين الدولتين الأوربيتين ،

وأعلن الباب العالي الحرب على فرنسا في ٤ من سبتمبر من العام نفسه ، وأخذ يسمي جيشين أحدهما في سورية ، والثاني في رودس لطرد الحملة . فرأى بوناپرت أن يزول جيش رودس من البحر لا يتيسر إلا في الصيف ، فأثر أن يقاوم الجيش البري قبل أن يتم احتشاده ليشتته في سورية ويفتحها كما فتح مصر ؛ ومتى يقهر الترك ويجمع معارزين في صفه بالتجنيد من المسيحيين المنتشرين في تلك البلاد ، ومن البروز وغيرهم تمتد الحركة إلى سائر العرب ويتسهل له إصلاح العلاقات بين فرنسا والباب العالي ، ثم يجتاز الصحراء زاحفاً إلى الهند . لكنه رجع إلى مصر مضطراً بسبب صبر عكا على حصاره وتفشى الطاعون في عسكره وغير ذلك .

\*\*\*

وجلت الحملة الفرنسية عن مصر ، لكن بوناپرت المستمد بمجده وفرنسا التي اعترت به ، فرنسا التي ما فتئت تدافع عن مصالحها في الشرق لم يأسا من إمكان فتح هذا القطر ثانية ، بل أرادا العمل على إحياء النفوذ الفرنسي فيه ربما تناح فرصة الاستيلاء عليه . ففي محفوظات وزارة الخارجية البريطانية وثيقتان<sup>(١)</sup> : إحداهما مذكرة بمشروع لاستقلال مصر منسوب إلى العلم يعقوب الذي ورد ذكره في تاريخ الجبرتي — وليس في كلام المؤرخ إشارة ما إلى أنه عرف شيئاً يتعلق بهذا المشروع ؛ والثيقة الثانية كتاب من قائد سفينة حربية إنجليزية أرسل معه المذكرة إلى حكومته عقيب نقله يعقوب من مصر . ولهاتين الوثيقتين علاقة بعمل فرنسا على إحياء نفوذها في مصر .

فقد وجد رؤساء حملة بوناپرت أن العلم يعقوب رجل حرب وإدارة على ذكاء ومكر ، فألقوه بجيش الجنرال دُزِر Desaix مديراً للتموين ، فأثبت إخلاصه لهم وشجاعته . وبعد هزيمة الممالك في الصعيد رجع في أسبوط إلى عيشة التراء بجوار قائده ، وعاشره هو وأركان الحرب من ضباطه وبعض أعضاء اللجنة العلمية الفرنسية ، وكانت المحادثات بندي القائد شائقة وسامية المآلى في أكثر الأحيان . فلا غرو من أن تكون أرستخت الأفكار الجديدة في أعماق ذهن العلم . ثم عهد إليه كليبر Kleber في تنظيم المالية المصرية ؛ ثم جملة رئيساً لفرقة عسكرية قبطية ؛

(١) وزارة الخارجية ٧٨ ، مجلد ٣٨ (F. O. 78, vol. 38) .

أو حذر أن يكون حيلة من الجمهورية الفرنسية .

لم يكن الدين حائلاً بين الفرنسيين والقبط ولم يكن بد من أن يحدث ضم يعقوب إلى الجيش الفرنسي ، مرات ثلاثة أعوام ، آثاراً عميقة في نفسه . فكان له أن يتوقع المكافأة الثمينة من بوناپرت ، ولا سيما إذا أصبح القنصل الأول في حكومة القنصلية وهو الذي لم يكن ليفعل عن الجزاء السخي على مثل ارتياح العلم إلى خدمة الفرنسيين في جميع الأحوال ، واستسلامه لإرادتهم كل الاستسلام حتى جعلوه جنرالاً فرنسياً . غير أن العلم مات على السفينة الإنجليزية عقيب الإفشاء بسرّه ، فكُتب لسكرى المشار إليه آنفاً مذكرة بالشروع هي التي أرسلها قائد السفينة مع كتابه إلى الحكومة الإنجليزية . وكان يعقوب قبيل موته قد أبدى رغبته في أن يدفن بجانب (دزه) حباً فيه ، فلم تلق جثته في البحر بل حفظت في برميل روم Rhum إلى أن دفنت في مرسيليا .

وواضح من نص الوثيقتين برمته ، ومن سيرة صاحب المشروع في زمانه ومكانه ، أن فكرة هذا الاستقلال وليدة السياسة العليا ، وأن العلم يعقوب تبناها تحت رعاية الحملة الفرنسية . ولو امتد بالجنرال يعقوب زمنه لأيدت فرنسا مشروع هذا القبطى الوجيه الثرى ، عند عقد معاهدة اميان ، لخدم مصالحها بفوزه في مصر إذ كان أحد رؤساء طائفته وقد صيروه شخصية كبيرة الشأن . لكنه مات فلم يبق في الفرقة القبطية من يصلح للحلول محله والمفاوضة في مشروعه .

\*\*\*

لما عاد بوناپرت من مصر إلى فرنسا وتولى رئاسة الحكومة القنصلية أرسل ماتيوديه لابس Mathieu لابس قنصلاً عاماً إلى مصر ، وذلك في سنة ١٨٠٤ من أيام القلق التي كان جلاء الجيش الفرنسي عن القطر تركه فيها لنفوذ المالك وللقوضى . وكان من شأن المهمة الحقيقية العينة لماتيوديه أن تعرضه للمخاطر في بهرة هذه القوضى ، إذ كانت المهمة هي إعادة النفوذ الفرنسي إلى حاله السابقة ، وقد أداها بنجاح باهر : فإن البيانات والأوامر السرية التي أصدرها إليه تالران المشهور ، وزير الخارجية الفرنسية يومئذ ، أوجبت عليه أن يبحث في الجيش التركي القسى حارب الفرنسيين عن رجل مقدم تى كفاية للحلول محل المالك ؛ فاهتدى ماتيوديه بفراصة

ذات بصيرة إلى محمد علي (المنفور له محمد علي باشا الكبير) ، وفاد سداقته ، وساعده مساعدة فعالة في سبيل علومه ؛ فلم يلبث محمد علي أن أصبح سيد البلاد وجعل المصريين ينادون به والياً على مصر ، ثم أباد المالك — كما كان يحدث لو نفذ مشروع يعقوب .

ومشهور أن فرنسا أيدت السامى التي نال بها محمد علي فرمان الولاية عام ١٨٠٥ ؛ وقد جاءه بسد ذلك فرمان بنقله والياً على سلايك ، لأن الحكومة البريطانية طلبت من الباب العالي أن يعيد السلطة إلى المالك ضامنة له أمانة محمد بك الآلى — الذي كان الإنجليز يؤيدونه إذ وعدهم وعوداً تعرض مستقبل مصر للخطر ، منها أنه سوف ينزل لهم عن الثغور المصرية الكبيرة . ثم نجحت سامى فرنسا في استقبول قفاز محمد علي بزمان أعدده إلى ولاية مصر من غير أن يبارحها . لكن الإنجليز لم يرقهم نجاحه الملائم لسياسة فرنسا ونقوذها ، فأرسلوا حملة على مصر : وكانت الخطوة لدفع هذه الحملة الخائبة عن الاسكندرية من وضع دروفتي Drovetti قبضل فرنسا في هذا الثغر .

\*\*\*

استتب حكم محمد علي وغزا الشام — بعد أن قهر الوهابيين بنحو خمسة عشر عاماً . وكان لويس فيليب ، ملك فرنسا ، وحكومته والرأى العام الفرنسي ، شديدي الرغبة في أن ينفذ والى مصر ما عزم عليه وأن يوطد سلطته في الشرق إلى أقصى حدود الإمكان ؛ فلما خرج أحمد باشا القبطان بالأسطول العثماني من الفردنيل في سنة ١٨٣٩ ليلسه إليه حقداً منه على عدوه الشخصي خسرو باشا ، الصدر الأعظم ، كان أمير البحر لاند Lalande يد بالأسطول الفرنسي منفذ الضيق إلى البحر المتوسط ، فلم يذلل أى جهد ليمح الأسطول العثماني من الخروج تنفيذاً للرغبة الدولية الأوربية مع علمه بنية أحمد باشا ، بل أعانه على خدع الإنجليز والتخلص إلى مصر . لكن إنجلترا خشيت عواقب النصر الذي حازه محمد علي الكبير فحالت دون غرضه من توحيد الشرق العربي تحت حكمه وإن أيدته فرنسا في المفاوضات الدولية الأوربية حتى كادت تحارب من أجله ، بل حرصاً على نفوذ سياستها . وقد كتب بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية ، في ٤ من مارس عام ١٨٤٠ إلى جيزو ، رئيس الوزارة الفرنسية : « أما كانت

وعظم أمل الفرنسيين في الأمير حتى طلبت منهم إنشاء امبراطورية شرقية تضم جميع السكان العرب في سورية ولبنان والعراق وشبه جزيرة العرب . وهذا انشروع الفرنسي لم يبقه أى إجراء فيه . لكن الإنجليز وجسوا بسبب النفوذ الذى أصبح يومئذ للأمير الجزائرى في سورية فراقبوا أعماله ومسالكة مراقبه دقيقة ؛ وكان شأنهم مع أولاده أن شغل أولئك الإنجليز واجسهم منذ أصبح الأمير رمز المصلحة الفرنسية في الشرق حتى اجتهدوا ، عند انتهاء الحرب المالية الأولى ، في الخط من سمعة أمراء الجزائر لإبعادهم عن سورية حيث كانوا عتبة أمام السياسة الإنجليزية .

\*\*\*

وكان من الشروط في عقد الشركة التي حفرت قناة السويس أن تملك جميع الأراضي البور التي تحيها في جانب القناة . وكانت بية دهلبيس أن يروى خمسة عشر ألف فدان من الصحراء في جانبها الغربي بزيادة أربعة من النيل ، وأن يستعمل بدو سينا إلى سكنها ؛ وقصد أن يوجد الثقة في قلوبهم بدعوتهم الأمير عبد القادر الجزائرى ، عام ١٨٦٧ إلى زيارة الأعمال الجارية يومئذ في القناة ، وبتمليك خمسة فدان في بئر بلاح جنوبي نقيشه . وقد شرع الأمير بحث البدو على التجمع حول منشآت الشركة عازما على إسكان واحد من أبنائه بينهم ليعيش معهم ، ساعيا بوجهته لإمساك الفرض . فأوجس بالمستون خيفة من هذا المشروع الذى يلائم مصلحة الشركة ويؤايم السياسة الفرنسية في آن معا ؛ إذ رأى فيه نواة دولة عربية تامة لفرنسا قد تنشأ في برزخ السويس وقد تسد ذات يوم طريق الهند . فتفادت أنجلترا من هذا الخطر البعيد باستماتتها نخوة الحديو إسماعيل ، الذى كان يشغل ما حاز الأمير عبد القادر من الشهرة المتنامية ؛ فطلب الحديو من دهلبيس أن يمدل عن مشروعه . ولقد بحث الإنجليز يومئذ عن سبب يمكنهم من إيجاد طريق حربى يسلكونه إلى الهند رأسا إن أغلقت دونهم قناة السويس ، وينافسها في كل وقت ؛ فكان مشروعه هو حفر قناة من حيفا إلى البحر الميت ومنه إلى العقبة . ودام تنافس الفرنسيين والإنجليز مؤثرا في شؤون مصر ،

أخذا في الضعف ويبدأ حتى انتهى بالإتفاق الودى عام ١٩٠٤

محمد نور محمد السحار

فرنسا ثمر لورات في مصر وسورية دولة جديدة مستقلة تؤسس فيها وتكاد تكون من إنشائها فتصير بالضرورة حليفها ؛ لكم الوساية على الجزائر ، فإذا بقي يومئذ بينكم وبين حليفكم مصر ؟ هاتان الدولتان المسكيتان تونس وطرابلس ، وهما تكادان لا تكونان شيئا . وهكذا يصبح ساحل أفريقية كله وقسم من ساحل آسية على البحر المتوسط ، من مرا كشر إلى خليج الاسكندورة ، في قبضة يديكم وتحت نفوذكم . وهذا محال أن يكون من سبلنا »

\*\*\*

ضمن مانيو بجرأته فيما ابتدأ به عمله السياسى صداقة محمد على العظيم ، ووطد في مصر نفوذ فرنسا لمدة مديدة ، ومهد من حيث لا يدري لابنه فردينان طريقا قصدا إلى الاذن له في إنشاء قناة السويس ؛ فإن صداقة الوالى ، بعد إذ وصل إلى الحكم بمواهبه الفطرية وبثأيد من مانيو ، كانت صداقة مضمونة بآدى ، بدء فردينان . وقد أكد الوالى أمر ذلك التأييد من الأب وهذه الصداقة للابن تأكيداً علياً يوم كان في سورية بين قواده وحاشيته ورأى فيه فردينان أول مرة فقال له : « إن والدك هو الذى جعلنى ما أنا اليوم . فاذكر أنك تستطيع دائما أن تعتمد على » . ومن صداقة الوالى نشأت صداقة ابنه سعيد باشا لفردينان ، ولولاها لكان من الممكن جدا أن يخفق في أمر القناة . وليس شك في أن أحوال البيئة التى ظهر فيها محمد على ، ومنطق التاريخ في زمانه وتصرفه بسياسة أثبت حكمها علوشانه ، أمور تؤيد هذه الحقائق . وإذا قال التاريخ بوقوع إرشاد له وإسعاد فإن هذا القول ليس بصفر من جلال عبقرية سميت بعاجبا إلى أوج سودده ومجده ؛ إذ أنقذ مصر من القوضى وأحيها ، ومنحها ملكا واسعا وعرضا زعزع العرش العثمانى المجيد ، ولم يثبت أمامه سوى إجماع الدول العظمى .

\*\*\*

ولما وقعت المذابح بسورية ، في ٩ من بوليه عام ١٨٦٠ ، رفع الأمير عبد القادر الجزائرى العلم الفرنسى على داره بدمشق ، وحى الفرنسيين هو ومن معه من أبناء الجزائر ، وأعاد النظام إلى المدينة ففتحها نابليون الثالث الوشاح الأكبر لجوقة الشرق ،



# في إرشاد الأريب

## إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف الذشاشيبي

- ١٧ -

ج ١ ص ١٨١ :

إذا ما الفكر ولد من لفظ وأسلبه الوجود إلى العيان  
ووشاء فنمته يان فصيح في المقال بلا لسان  
ترى حلل اليان منشرات تجلي بينها حلل الماني  
قلت : ( تجلي بينها صور الماني ) كما روى أبو الفرج . وفي  
( أغانيه ) : « فنمته مُسَدِّد فصيح » وأسَد في القول أصاب  
الساد ، والشعر لإبراهيم بن العباس الصولي

\*\*\*

ج ١٩ ص ٢٠٩ : حدث أبو عبيدة أن يونس النحوي سئل  
عن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أشعر ؟ فقال : أجمت العلماء  
على الأخطل . قال أبو عبيدة : قتلت لرجل إلى جنبه : سله : من  
هؤلاء العلماء ؟ فسأله فقال : هم ميمون الأقرن ، وعنبسة الفيل ،  
وابن أبي إسحاق الحضرمي ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعيسى بن  
عمر الثقفي . هؤلاء طرَقوا الكلام وماتوا موتا لا كمن تمحكون  
عنه لام يدبون ولا م نحويون .

رجاء في الشرح : ( ماتوا موتا ) هذا كناية عن مجتهم  
التواصل واستقراءهم للتابع كمن مات الشيء بالشيء إذا خلطه  
بشيء لا يتميز أحدهما من الآخر .

قلت : ( ماشوه ميثا ) في الأساس : ومن المجاز : وتقول :  
هم نفسوا الكلام وملكوه وطرَقوه للنجارير في العريية .

في التاج : ماش القطن عيشة ميثا : زيد به المالح . وزُبد  
القطن نقش وجُود حتى يصلح لأن ينزل . وفي اللسان : طرق  
التجاد الصوف يطرقة طرقا ضربه ، وإسم ذلك الصوف القى  
يضرب به الطريقة .

ميمون الأقرن وعنبسة الفيل وسائر من ذكرهم يونس بن

حبيب البصري النحوي أن يقدموا ويؤخروا ، ويملوا وينزلوا  
« فأما قدام أهل العلم والرواة فلم يسورا بينهما ( بين الفرزدق  
وجرير ) وبين الأخطل ؛ لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له  
مثل ما لهما من قنونه » كما قال أبو الفرج في كتابه ، وقد أوردت  
قضاءه في مقالاتي ( خليل مرهم بك وكتابه في الشاعر الفرزدق )  
في ( الرسالة النراء ) في سنها السابعة ، وبينت هناك ما بينت .  
وهذا قول لم أروه في تلك المقالات وهو للأديب العظيم أبي بكر  
محمد بن يحيى الصولي في كتابه الفائق ( أخبار أبي تمام ) :

كنت عملت ( أخبار الفرزدق ) وبدأت ( به ) وفي نيتي عمل  
أخبار جرير والأخطل بعده ، وإنما بدأت بالفرزدق لقوة أسر  
كلامه ، وكثرة معانيه ، وجيل مذهبه ، ولأنه يتقدم عندي  
الإثنين من طبقته في شعره ، أعني جريرا والأخطل ، ولا أعيب  
من يقدم عليه إذ كنا نجد أئمة من العلماء لهم فيهم آراء مختلفة ،  
وتقديم لبعضهم على بعض ، ولكنني في حين من يقدم الفرزدق  
وابتدأت في عمل أخبار جرير ، قبلني أنت قوما تضمنوا عملهم  
خلافا على وكباداً إلى ، فأمسكت عن إتمامها امتحانا لمصدقهم ،  
فانت بعض وفي آخرون ، ولم تعمل حتى الساعة ...

\*\*\*

ج ٢ ص ٢٦٩ :

لو دام لي في الوري خل وعاقبة لما حلفت بدى قربي ولا رحم  
ولا بكّرت إلى حُلُو لثائه ولا التفت إلى شيء من النعم  
قلت : ( لما حلفت ) حفل يحفل ( ولا بكّرت إلى خلق  
لثائه ) بكر إلى الشيء - من باب قد - أنه بكرة أو في أي  
وقت كان ، وبكر إلى الشيء كفرح عجل كما في التاج . وخلق اسم  
ومصدر كما قال سيبويه في ( الكتاب ) أو أصله مصدر كما في  
الصحاح . وخلق هنا مثله في قول المتنبي :

ولا تشك إلى خلق قشمت

شكوى الجريح إلى الثربان والرحم

والماتقة في الشعر - وهو لمحظة البرمكي - هي الغمر ..

والمروى خمر عاتق وعتيقة وممتقة وعناق . قال حان ( رضى  
الله عنه ) :

تبت فؤادك في المنام خريفة تنقى الضجيج نيارد بياض

والبرقة ( وجمها برق ) ذات حجارة وتراب ، وحجارتها الغالب عليها البياض ، وفيها حجارة حمراء وسود ، والتراب أبيض وأغبر وهو يبرق لك بلوق حجارتها وترابها ، وإعابقتها اختلاف ألوانها وتنبت أسنادها وظهورها البقل والشجر نبات كثيرا ، يكون إلى جنبها الروض أحيانا .

وحما رواه أبو الفرج في هذا البرق الشائق قول أبي قطيفة :  
إذا برقت نحو الحجاز سحابة دعا الشوق منى برقها التيامن  
وقول ابن ميادة :

أرقت لبرق لا يفتر لامعه بشهب الرب والليل قد نام حاجمه  
أرقت له من بعد ما نام صحبتي وأعجبني لمعاضه وتتابسه  
وقول إبراهيم بن اليزيدي :

ماذا بقلبي من ألم الخفق إذا رأيت لمعان البرق  
من قبل الأردن أو دمشق لأن من أهوى بذاك الأفق  
وروت هذين البيتين ( نهاية الأرب ) .

\*\*\*

ج ٢ ص ٧٣ : وقال ( الصابي ) في غلام له اسمه رعد أسود :  
قد قال رعد وهو أسود للذي بياضه يعلو علو الخائن (١)  
ما غر خدك بالبياض وهل ترى أن قد أفقت به مزية عاسن  
ولو أن منى فيه نخالا زانه ولو أن منه في خلا شائني  
وجاء في الشرح : ويروى بالتيمة استعلى علو مبان .

قلت : ( بياضه استعلى علو الخائن ) في المقامة الثامنة والثلاثين  
المروية للجريدي : قال قفريه الوالي لبيانه الفائن ، حتى أحسله  
مقعد الخائن .

في ( نهاية الأرب ) : قال بشار وأجاد :

يكون الخال في خدني فيكسبه الملاحه والجبال  
ويوتقه لأعين مبصره فكيف إذا رأيت اللون خلا  
في ( الوفيات ) هذا الظير البارع في السواد :

قال إبراهيم بن المهدي : قال لي المأمون وقد دخلت عليه بعد  
المفوعني : أنت الخليفة الأسود ؟ قلت يا أمير المؤمنين ، أنا  
القبي منتف عليه بالمفوع ، وقد قال عبد بنى المسحاس :

إن كنت عبدا فتفسى حرة كراما أو أسود الخلق في أبيض الخلق

(١) في رواية : قد قال يمن .

كالمسك تخلطه بماء سحابة أو عاتق كدم التديع مدام

\*\*\*

ج ٩ ص ١٧٨ : فكم أهل هدته - قصر الله عزائمها -  
بعد الضلال ، وحر استنفذته من حبال الأقلال ، ومرهق خفت  
بجته وطأة الزمن المتناقل ، وطريد برأته من حرمة أسع المعقل .  
منازل عز لو يحمل ابن مزنة بها لسلامه من منازل  
وجاء في الشرح : ابن مزنة المطر . قلت : ( فكم ناله أو حائر  
أو ضال أو ضليل أو مضلل هدته بعد الضلال ) ؛ وابن مزنة  
هو الهلال .

في الصحاح : ويقال للهلال : ابن مزنة قال :

كأن ابن مزنها جانحا فسيط لدى الأفق من خنصر  
وقيل للهلال ابن مزنة لأنه يخرج من خلال السحاب ، حكى  
ذلك عن ثعلب كافي التاج . ونسب البيت في اللسان والتاج إلى  
عمرو بن قتيبة . والفسيط هو القلامة ، في الأساس : ما لقان  
مقدار فسيط ، وأنشد يعقوب (١) : كأن ابن مزنها البيت .

\*\*\*

ج ١٥ ص ٢٠٧ : لأبي على النطقي :

في البرق لي شاغل عن لمة البرق يدا وكان متى ما يبدل يشق  
منفرا سرب نوى عن مرانته كأنما اشتق معناه من الأرق  
أخو ثنايا التي بالقلب مذظمت أضاع ما يشاها من القلق  
ما كان يسرق من حرز الجفون كرى

لو أنه من لها غير مسترق  
رجاء في الشرح : البرق الأول مكان والثاني برق السحاب .  
قلت : ( في البرق لي شاغل عن لمة البرق ) ( لو أنه من لها  
غير مسترق ) والبرق الأول هو البرق المعروف واللفظة الثانية  
هي جمع برقة .

في اللسان : اللمة الرضع الذي يكثر فيه الخلق ، ولا يقال لها  
لمة حتى تبيض ، وقيل : لا تكون اللمة إلا من الطريفة  
والصليان إذا بيا ، تقول العرب : وقتنا في لمة من نصي وصليان  
أي في بقعة منها ذات وضح لما ثبت فيها من النصي وتجمع لمعا .

(١) ابن النكت .



وجاء في الشرح : كانت (المفاوضة) في الأصل «المفاوضة» .  
قلت : الأصل صحيح ، ومفاوضة العلماء محادثتهم ومذاكرتهم ،  
والمفاوضة : المفاوضة والمناطقة ، فهي تحكي المحادثة والمناكرة .

وقد ضبطت (ألبته) في هذا الخبر وفي مواضع أخرى في الكتاب  
بهمزة مقطوعة أو بألف القطع ، وقد وجدت في البخاري  
والكامل وكتاب سيبويه والصحاح وغير ذلك بألف الوصل ،  
ولم أعر على نص للأئمة القدماء فيها ، فمن وجده تقرب إلى العلم  
بنشره في (الرسالة) مشكوراً . وهذا ما قاله التاج :

(ولا أفعله البتة) بقطع الهمزة كما في نسختنا ، وضبط في  
الصحاح بوصلها ، ونقل شيخنا عن الدماميني في شرح التسهيل :  
زعم في الباب أنه سمع في البتة قطع الهمزة ، وقال شارحه في  
الغيباب : إنه السموع . قال البدر : ولا أعرف ذلك من جهة  
غيرها ، وبالغ في رده وتعبه ، وتصدي لذلك أيضاً عبد الملك  
العصامي في حاشيته على شرح البطر المصنف .

قال ابن خلكان : كنت مرة رأيت في المنام سنة (١١٤٨)  
وأنا يومئذ بمدينة القاهرة كأنني قد خرجت إلى قليوب ، ودخلت  
إلى مشهد بها فوجدته مشغاً ، وهو عمارة قديمة ، ورأيت به ثلاثة  
أشخاص مقيمين مجاورين ، فسألهم عن المشهد وأنا متعجب  
لحسن بنائه وإتقان تشييده : ترى هذا عمارة من ؟ فقالوا : لا تعلم  
ثم قال أحدهم : إن الشيخ أبا علي الفارسي جاور في هذا المشهد  
سنتين عديدة ، وتفاوضا في حديثه ، فقال : وله مع فضائله شعر  
حسن ، قلت له : ما وقت له على شعر ، فقال : أنا أنشدك من  
شعره ، ثم أنشدني بصوت رقيق إلى غاية ثلاثة أبيات ، واستيقظت  
في أثر الإنشاد ، ولذت صوته في سمعي ، وعلق على خاطري منها  
البيت الأخير وهو :

الناس في الخير لا يرضون عن أحد

فكيف ظنك سيموا الشر أو ساموا

\*\*\*

ج ١٨ ص ٢٨٦ : قال (الحيدري الحافظ المؤرخ الأديب) :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً سوى الهذيان من قيل وقال  
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو لإصلاح حال

فقال لي : يا عم ، أخرجك الهزل إلى الجد ، وأنشد يقول :  
ليس يورى السواد بالرجل الشهم (٢) ولا بالفتى الأديب الأريب  
إن يكن للسواد فيك نصيب فيأض الأخلاق منك نصيب !  
قلت : — ولا أقول إلا الحق — : إن السواد عند الله وعند  
الطبيعة والحقيقة هو كالبياض ، والبياض ند السواد ، والأحمر  
آخر الأصفر ، والبيضة — يا أبا العرب — هي التي قد لونت ،  
وهي التي قد شكلت ونوعت ، ومسورت ما سورت :  
فلا يروق (١) ذو لون على ذي لون ، وليس في الدنيا عبد وحر ،  
ولن يشين المرء لونه — يا أيها النري — لكنه يشينه تلونه ...  
في (أساس البلاغة) لجار الله : ورجل مثلون : مختلف  
الأخلاق .

\*\*\*

ج ٧ ص ٢٥١ : أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي قال :  
وجدت في مسائل نحوه تنسب إلى ابن جني قال : لم اسمع لأبي علي  
(الفارسي) شعراً قط إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من  
الشعراء ، فجرى ذكر الشعر ، فقال أبو علي : إني لأعبطكم على  
قول هذا الشعر ، فإن خاطري لا يواتيني (٢) على قوله مع محقق  
العلوم (٣) التي هي من موارد . فقال له ذلك الرجل : فما قلت  
قط منه شيئاً ألبته ؟ فقال : ما أعهد لي شعراً (٤) إلا ثلاثة أبيات  
قلتها في الشيب ، وهي قولي :  
خضبت الشيب لما كان عيباً وخضب الشيب أولى أن يما  
ولم أخضب غافة هجر خل ولا عيباً خشيت ولا عتاباً  
ولكن الشيب بدا ذمياً فصيرت الخضاب له عقاباً (٥)  
فاستحسنها وكتبناها عنه ، أو كما قال ، لأنني كتبها عن  
المفاوضة ، ولم أنقل أناظها .

(١) وابق عليه : تهمه وعلاه فضلاً ، قال ابن الرقيات :

راقت طلي البيض الحسات يحسها وبهاتها

(٢) قلت : في (الرويات) لا يوافقني . في التاج : آيته على ذلك  
الأمر إذا واقته وطلوت والامة تقول وآيته كما في الصحاح وقيل : هي  
لله لأهل البين جعلوها وأوا علي تخفيف الهمزة ومن الحديث : خير النساء  
للوايمة لزوجها .

(٣) في الرويات (مع تحقيق العلوم) (ما أعلم أن له شعراً) .

(٤) في طبعة الارشاد والرويات (ذمياً) وعندي أن أبا علي قال

(ذمياً) .

# من محاسن التشريع الاسلامي

للامتاذ حسن أحمد الخطيب

— — — — —

— ٤ —

مرصه على الرغبه والفضائل :

من خصائص الشريعة الإسلامية التي امتازت بها على الشرائع الوضعية كلها أنها قامت على الأخلاق المرصية، والفضائل المرعية، وخشية الله، وعاسية الوجدان والضمير، في كل ما يسد عن الإنسان، ألا ترى إلى قوله تعالى : « ولا يجرمكم شتان قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا، هو أقرب للتقوى » ، وقال صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه : « إنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن<sup>(١)</sup> بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه

(١) أعرف بالحجة وأظن لها .

قلت : (من قيل وقال) (أو إصلاح حال)

\*\*\*

ج ١٩ ص ٢٣٢ :

كان القلب قيل يقضى بلى الماسمية أو يراح قطاة غرها شرك قيات تجاذبه وقد علق الجناح<sup>(١)</sup> قلت : (عزها شرك) كما روى الكامل والحاسة والأغانى وفسر التبريزي<sup>(٢)</sup> . وقد نسب الشعر في الإرشاد والحاسة إلى نصيب بن رباح . وقال صاحب الكامل : أحبه توبة ، وقال

(١) في الكامل : عالجته وقد علق الجناح ، وروى تجاذبه فهذا غاية الانطراب ، وقد قال السراء قبله وسده فلم يلتوا هذا القدار .

(٢) قال : (غرها) في موضع الصفة لقطاة ، يريد غلبها ، وانتصب ليلة على الطرف مما دل عليه (كان القلب) من التشبيه ، ولا يجوز أن يكون طرفاً ليل لأن ما بعده مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يصل في المضاف ، وتوله (تجاذبه) للقاعة تكون في الأكثر من اتجن ، وإنما جاز ذلك لأنه جعل منع الشرك لقطاة من التمس جذباته .

فلا يأخذه ، فأما أقطع له قطعة من النار<sup>(١)</sup> » ، ويجهده عمر رضى الله عنه في إبعاد الناس عما يفرس الاحتقاد والإحن في النفوس ، فيقول : « ردوا الخسوم حتى يسطلحوا » ، فإن فعل القضاء يورث بينهم الضغائن » ، ويشدد الرسول صلى الله عليه وسلم في التكبر على من يتخادع السلمين ويتشتمهم ، فيقول : « من غشنا فليس منا » كما يقول صلوات الله عليه « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولهم عذاب أليم : رجل كان له فضل ماء بالطريق فنهه من ابن السيل ، ورجل بايع إمامه ، لا يبايعه إلا لدينه ، فإن أعطاه منها رضى ، وإن لم يعطه منها سخط ، ورجل أقام سلطته بعد العصر ، فقال : والله الذى لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا فصدقه رجل — ثم قرأ — إن الذين يشتركون بهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكهم ولهم عذاب أليم » .

وليس قوانين أفلاطون ، ولا الشرائع الرومانية ، ولا القوانين القرية الحديثة بمعطية أن تجارى الشريعة

(١) الحديث ورد بهذا النص في الطرق الحكمة .

أبو الحسن الأخفش : يقال : إنه المجنون بنى عامر وهو الصواب ، وعزى في الأغاني في موضعين إلى (المجنون) ضاع - والحالة هذه - قائله .

مما قيل في (مجنون ليل) في (الأغانى) :

عن المثنى عن ابن داب قال : قلت لرجل من بني عامر : أنترف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟ قال : أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين ! إنهم لكثير ، فقلت : ليس هؤلاء أعنى ، إنما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله المشق ، فقال : هيبات ، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه الجمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصلبة رءوسها ، فأما تزار فلا .

عن أيوب بن عتبة أن فتي من بنى مروان كان يهوى امرأة منهم فيقول فيها الشعر ، وينسبها إلى المجنون ، وأنه عمل له أخياراً ، وأضاف إليها ذلك الشعر ، فحمله الناس وزادوا فيه .

الإسلامية في هذا السور الخلقى القى بنيت عليه جميع التصرفات والمعاملات ، وما يصدر عن الإنسان من قول أو عمل .

- ٥ -

اقتصار تشريعه التفصيلي على الأمور الثابتة التي لا تختلف باختلاف الأمم والمصور ، أما الحوادث الجزئية ، والأحكام الفرعية التي تختلف باختلاف الأحوال والأمم فإنه لم يتناولها إلا بقواعد كلية ، ومقاصد عامة ، ليترك الباب مفتوحاً لأهل الاجتهاد من كل أمة ، وفي أى عصر ، ليستنبطوا من الأحكام ما يحقق مصالح العباد ، ويتفق مع حاجاتهم .

لذلك كان من خصائص هذه الشريعة التي امتازت بها على سائر الشرائع أنها قائمة على دعامة الاجتهاد ، من لدن أول مجتهد في الإسلام ، وأعظم مشرع ، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى مجتهدى الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من العلماء المجتهدين في كل عصر .

هذا الاجتهاد - فيما لا نعن فيه - هو الذى يكفل تجديدها على مدى الأيام ، ومسايرتها لتطورات الأمم والشعوب ، ويضمن قدرتها على وضع الأحكام لما يجدد من الأحداث والوقائع ، وضروب المعاملات ، بل هو سر خلودها ، ودوامها وبقائها على وجه العمر ، صالحة لكل زمان ومكان ، وليس ذلك يندع ولا يجب ، فإن أحكام الشريعة معقدة ، لها أسرار وحكم ومنافع ، والنصوص معقولة المعنى .

وقد تضافرت الأدلة الشرعية ، والنصوص الحقيقية على أن الإسلام شرع الاجتهاد ودعا إليه في وضع الأحكام عند عدم وجود النص ، فمن ذلك .

١ - أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر معاذ بن جبل على اجتهاده برأيه فيما لم يجد فيه نصاً من الله ورسوله ، فإنه عليه السلام والسلام ، لما بعثه إلى اليمن - قال له : « كيف تصنع إذا عرض لك قضاء ؟ قال أتصني بما في كتاب الله ، قال فإن لم يكن في كتاب الله ، قال فبسنن رسول الله ، قال فإن لم يكن في سنن رسول الله ، قال أجتهد رأيي لا آلو » ، قال معاذ ف ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صغرى ، ثم قال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله .

٢ - ما ثبت من أقوال بعض الصحابة من إقرار الاجتهاد بالرأى والقياس ، فمن ذلك ما جاء في رسالة عمر بن الخطاب في القضاء إلى أبي موسى الأشعري « اقمهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة » ، ثم اعرف الأشياء والأمثال تقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق » .

٣ - ما ثبت من أن كثيراً من الصحابة كانوا يجتهدون في النوازل ، ويقسمون بعض الأحكام على بعض ، ويستبرون النظر بنظيره ، ويرون استعمال الرأى عند عدم وجود النص ، ولعل عمر كان أظهرهم وأجرامهم في هذا الباب ، متى بان له وجه الحق فيه ، فمن ذلك أنه رقت إليه قصة رجل قتلته امرأة أبيه وخليتها ، فتردد عمر ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فقال له على رأيك لو أن نراً اشتراكوا في سرقة جزور ، فأخذ هذا عضواً ، وهذا عضواً ، أ كنت قاطمهم ؟ قال نعم ، قال فكذاك ، فعمل عمر برأيه ، وكتب إلى عامله أن اقتلها <sup>(١)</sup> ، وروى عن عمر أيضاً أنه لم يقطع يد السارق في عام الجماعة ، وأوقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وقال إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة ، فلو أفضيتهم عليهم ، فأمضاه .

كذلك ثبت اجتهاد بعض الصحابة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم - صلوات الله وسلامه عليه - في كثير من الأحكام ، فلم ينههم ولم ينههم ، فقد أمرهم يوم الأحزاب أن يصلوا العصر في بني قريظة ، فاجتهد بعضهم وسلاها في الطريق ، وقال لم يرد منا التأخير ، وإنما أراد سرعة النهوض ، فنظروا إلى المعنى ، واجتهد آخرون ، وأخروها حتى وصلوا إلى بني قريظة ، فصلوها ليلاً ، فنظروا إلى حرفية النص ، واجتهد سعد بن معاذ في بني قريظة ، وحكم فيهم باجتهاده ، فسووه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات » .

هذا هو حكم الاجتهاد في شريعة الإسلام ، وهذا هدى السلف الصالح فيه ، أفما أن لنا أن نعد المدة ، وتأخذ الأهمية ، لنعبي هذه السنة ، ونقتنى أثر السالفين من علماء المجتهدين ؟

محمّد أحمد الخطيب

(ينبع)

(١) أهل الموضع لابن القيم .

من خواطر مجي :

وفد على صاحبي « أبو عامر » فابس الوجه  
« ما خطبه »

فقال : « أئذ ذكر صاحبنا أبا إسحاق ؟ »

قلت : أئني « رأس الوزه ؟ »

قال : « ما عنيت غيره ، يا أبا الفصن ! »

قلت : « فليس في بلدنا أحد يحمله أو يحمل ما نزل به من  
كوارث وأحداث ! لطف الله به يا أبا عامر ! لقد سمعت أنه اختلط »

فقال : « هذا كلام يخاف ويغلا الأسماع ، وإن بعد عن

الحقيقة البعد كله . إن رأس الوزه لم يختلط ؛ ولكنه رأى في

جنونه مهرا له من ديونه ، فلاذ به ، وتثبت بأذيله ؛ ولم تلبث

حيثه أن جازت على كل من رآه . وليس هذا بمسكتة على مثله ،

فهو آية من آيات الخداع والقدو والعقوق ! »

قلت : « ما علمت عليه من سوء ! فإذا بدرته حتى ساء

رايك فيه ، وقسا جكمك عليه ؟ »

قال : « لقد أرفقته ديونه ، وألح عليه دائنوه ، فلم يجد له

وسيلة غير الإختباء في منزله ليهرب من إلحاف غرمائه ، وينجو

من مضايقة دائنيه » .

وكنيت قد سلفته — فيمن سلفه — دينا يسيرا .

ورأيت إسماعه في الإحتجاب ، فما زلت أحتال عليه ، حتى

وصلت إليه .

ولم يكدر رأني حتى تبهم عياه ، وظهرت الحيرة والارتباك

على سياه ، فهونت عليه الأمر ، وما زلت به حتى سكن روعه ،

وسرني عنه .

وما عم أن راجعه أنه وبشاشته حين عرضت عليه وسيلة

للخلاص من دينه ودائنيه والفكاك من أمره ، على أن يرد له

— إذا نجحت الخطة — ما أسلفته إليه من دين .

فهلل بشراً وقال : « لك على عهد وميثاق إن أظفرتني بذلك

لأردن إليك نصف دينك ، ثم لأنسين لك صنيك ما حيت » .

فقلت له : « اتضح دارك — غداً أو بعد غد — إن شئت —

والبس أنفري ثيابك — وهي في ساحة أهلنا أغفر مجلس تستطيع

أن تهيه لاستقبال عارقيك — دائنين وغير دائنين — ثم اجلس

مستكناً على أريكة تمدحها في سحر مجلسك . وتظاهر بالجد والوقار ،

## معلم النبأح

على هاشم وعمر بنفور

الأستاذ كامل كيلاني

« مبداء إلى الذين علموا أصحاب الميكي ، فنون النبأح ،  
نراحووا يخلطون الهواء بالنواح . وكانوا أول من تنكرناضه  
ومؤيده ، وبعث في وجهه سله ومرشده . »

نتقل القصة التالية عن المقدمة النفيسة التي انتج بها  
« أبو الفصن جحا » خواطره التي أهداها إلى ولديه « جحوان »  
و « جحية » وقد ضمها مخطوط جحوى نفيس ، لمله مكتوب  
بخط رجل من أصحاب جحا أو بخط أحد معاصريه . وما أجدر  
أن يعتبر بهذه القصة من رسمون لغريم طرائق الاعتداء ومناهج  
الجنور ، وبطول هُتافهم وتصفيقهم لها ، واطرافهم وإعجابهم بها ،  
متى وافقت أهدافهم ، وأعانهم على قضاء لبائهم ، حتى إذا  
عارضت أهواءهم ، واصطدمت بأنايتهم ، ضاقوا بتلك الطرائق ذرعاً ،  
ولاقوا من هذه المناهج أشد الويلات .

قال أبو الفصن عبدالله دجين بن ثابت الملقب بجحا رحمه الله :  
قاتل الله الأثرة والأنانية — يا ولدي المززين — فإنهما  
تضلان الذكي ، وتلفيان عقله الراجح ، وتقصدان عليه منطقته  
السديد ، فلا يلبث أن يعميه الهوى ، وينسيه القرض ما هو خليف  
به من القصد والازن ! وما أخلق الرجل الماقل بأن يعرف أن  
أكثر ما يشبه به من الرأي إنما هو سلاح ذو حدين : أحدهما له  
والآخر عليه . ولا يجوز لنصف بعد أن يتخير الرأي ويرضيه أن  
يقبل منه ما هو له ويأبى منه ما هو عليه . وما أولاء أن يروض  
نفسه على احتمال عواقب مشورته ، فلا يوجه اللوم إلى غيره بعد  
أن يسر له سبيل الشر والأذية .

أقول هذا لكما بعد أن قص على بعض جيران في هذا  
السباح قصته شاكياً باكياً تكاد مرارته تتميز من النفيظ ، وهو  
يلمن أنانية صاحبه ، بعد أن رسم له طريقها ، ونهج له خطتها ،  
وزين تطبيقها وتحقيقها .

غير ما تواصل من بياحه

فأمر الوالى بإطلاق سراحه بعد أن بث له بعض السيوف والأرصاد يكتنون في غدوانه وورحانه ، ليروا ما يصير إليه شأنه . فظلوا يتيمون ظله أياماً ، فلم يتحول عن حاله قليلاً . فأيقن الوالى حينئذ أنه لا بد قد أصابه لسم ، وأدركه من الخيال طرف .

فلم ير له حيلة فيه ، ففرض بإسقاط دبره ، وأمر دائيه بالإقلاع من مطالبته بما لهم قبيله من الحقوقي .

وهكذا خلص « رأس الوزّة » مما ركب من دين . وبندل خوفه أمناً ، وفزعه طمأنينة ، وأصبح يندو وروح حيث شاء ، دون أن يزجه دأب أو ينقص عليه صفو عيشه غريم

أنترف كيف جزأى على هذا الصنيع يا أبا الفصن ؟ فقلت له مبتدئاً ساخراً وقد امتلأت نفسي رداية له ونفوراً منه : « لا شك عندى في أنه سار على النهج القويم الذى رسمته له في اغتيال حقوق الناس ، فنبع في وجهك كما نبع في وجوه دائيه . ثم في وجه واليه » .

قال « أبو عامر » :

ما أبدع ذكائك وأنفذ فطنتك يا أبا الفصن : لقد جئت بعد أن هدأ باله وكسّر قراره أذكره عهده ، وأستنجزه وعده ، فإزاد على النباح . فدهشت من جرأته ، وتلكنتى الحيرة بين صفاته . وقلت له : « لك أن تمثل هذا الدور مع كل إنسان إلا مى ، وأنا واضح خطلته ، ومُبدع قصته . فتكلم وبحك ! » .

فأبى إلا عواء يتلوه عواء ، وكلما تعاديت في محادثته تعادى في عوائه ، حتى تقدت جيلتى ، ودب اليأس إلى قلبى ، فتادرت عزون القلب مهيبض الجناح .

ورجعت إلى دارى أفكر فيما انطوت عليه نفوس الناس من غدر ولؤم وفساد ، بعد أن رأيت من صاحبي ما لم يكن ليخطر لي على بال ، من فنون العقوق ، وسلب الحقوق .

ولكن خيرى بربك — يا أبا الفصن — كيف تبيت خاتمة القصة قبل أن أفشى بها إليك ؟ » .

قلت له : « إن هجى منك — لامنه — شديد . فليس عليه — فيما سمع — قبحار : لقد سمعت له الطريقة واضحة جلية ، فسلكتها مهتدياً بهديك ، فما تنكبها ولا حاد عنها . فمن تعلم ؟ ومن تشكو ؟ »

فإذا مر بك أحد فلا تلتفت إليه ولا تلق له بالاً . فإذا حيأك فلا تحب تحيته بغير النباح . فإذا أظهر لك دهشته فانبج ثانية وثالثة ، فإذا تعادى في الاحلاج ، تملدت في النباح .

ثم اتخذ من النباح شعاراً لك بعد ذلك ، فلا تحب بغيره كل من حيأك ، ولو كان أخلص عارفيك وأصدق عبيك وأقرب القرين إليك من ولدك وأهلك . انبج ولا تكف من النباح ، واعو ولا تقصر في العواء ، حتى يضجروا بك فيرفموا أمرك إلى والى المدينة .

فإذا مثلت بين يديه فاعتصم بالصمت . فإذا سألك عن جلية أمرك لم تُجبر من جواب إلا أن تملأ أذنيه عواء . وحذار أن تغير من ذلك شيئاً أو تبدله حتى يقرر في نفس الوالى أنك — فيما تأتيه — غير متصنع ولا متكلف .

فإذا اقتنع أن طاقاً من الجنون قد ألم بك ، لم يجد قائدة من حوارك ، فيدفنه إليأس منك إلى إطلاق سراحك ، ورد حريتك إليك ، وإعفائك مما عليك من دين !

أنترف يا أبا الفصن كيف استقبل « رأس الوزّة » هذه النصيحة التالية ؟ لقد فاضت نفسه — حين سمعها — عرفاناً بالجميل . ولميج لسانه بأبلغ عبارات الثناء والشكر على ما يستره له من أسباب النجاة من ورطته ، والخلاص من كُربته . فلما جاء الند قد انطلقة وفق ما رسمتها له في براعة وحذق !

قدم عليه زائر من جيرانه ، فلم يكدر يراه جالساً حتى أقراء السلام ، فكان رده عليه نباحاً . وأقبل ثان وثالث ورابع ، فلم يلقوا منه غير ما لقيه أول القادمين عليه .

ولم يمض زمن يسير حتى ذاعت قميته في المدينة ، فأقبل عليه دائئوه يتقاضونه ديونه ، فلم يلقوه إلا عاوياً . وراحوا يعتفون به تارة ، ويلينون له تارة أخرى ، ثم يسرقون في وعيدهم حيناً ، وفي تلطفهم أحياناً ، فلم يُجبد في رده عن عوائه حيلة ولا وسيلة .

فلما يسوا منه ، قهوا به إلى الوالى ، فسأله عن قصته ، فنبجه . فزجره وتوعده ، فوجده يسترسل في النباح . وما زال بالوالى حتى أضجره ؛ فأمر بزجه في السجن ، ووكل به من يراقبه عية أيام ليخبر أمره ، ويحلو سره ، فلم يظفر منه مراقبوه بشيء .

من التاريخ الإسلامي :

## هند والمغيرة

للأستاذ علي الطنطاوي

و عنية (من عشايا سنة ٤١ للهجرة) ساكتة لا يسمع فيها إلا الصمت ، في رية هادئة لا يرى فيها إلا السكون ، كان يرى القادم على (الحيرة) إذا هو اجتاز بدير هند ، عند المنخلة المنفردة التي قامت على الطريق ، عجوزاً طاعنة قد اكشيت وانطوت على نفسها وجلت صامته وحيدة تجيل عينها الضميرتين في هذه الدنيا الصامتة التي دارت من حولها ، فتبدل كل شيء وهي ثابتة ؛ كانت نبتة طرية مزهرة في ذلك الروض ، فباد الروض كله وبقيت هي وحدها حطبة يابسة . وكانت كلمة في كتاب الماضي ، فحيت سطره كلها وبقيت هي وحدها الكتاب . هذه العجوز التي تراها فتحبها قد فرغت من الهم ، واستراحت

الم تملح كيف يتنال حقوق الناس ؟ وهل أنت إلا واحد من الناس ؟ فكيف تريد على ألا يتنال حقك فيما يتنال ؟ ما أجدرك — يا صاحبي — أن تشكر لهذا الرجل أمانته في الانتصار لرأيك ، والتحمس لطلعتك ، والانتفاع بتدبيرك ومشورتك . لقد لقتك درساً في الأثرة والأناية فحفظه عنك ولم يفسه لك . وسنت له سنة من سفن العقوق والفدر ، فاقني آثارك ، وارتضى سيرتك . ولو حسنت له الوفاء ، ودرست له طريقه لوفى لك دينك فيما وفى للناس .

ثم خبرني بربك — يا أبا عامر — أراك كنت شاكياً غدره وتقرظه في رد الأمانات إلى أهلها لو أنه وفى لك دينك وحدك ، ثم اغتال ديون غيرك ؟

أرأيت — يا صاحبي — لو سمعت أن رجلاً هدى الذئب إلى طريق النعم بعد أن أخذ عليه ما شاء من عهود ومواثيق أن يعنى شاة من بينها جيماً ، أترأى كان قاعلاً ؟

قد علمته العواء فسوى ، وأرشدته إلى طريق التوايه فسوى !؟

من الحزن ، تطوى أضالها على ذكريات ضخمة لعالم كامل أخى عليه الدهر وأضاعه ، ولم يدع منه إلا هذه الذكريات تحفظها وتحملها وحدها . إنها لا تنبش في دنيا الناس ولا يعيشون في دنياها . إنها لا تعرف شيئاً مما يحيط بها ، ولا تنسى شيئاً من عالم التي انتقدته من زمان ، عالم الحيرة وعدى بن زيد والتمنان ، العالم الذي احتوى مسراتها وأحزانها وروحها ، فلما مرّ محل ذلك كله معه فاشت من بعده بلا حب ولا مسرات ولا أحزان ولا روح ، — إلا هذه الذكريات التي تنفّر كل يوم نقرة في قلبها ، فلو كان حجراً سداً لتفتت فكيف وهو من لحم ودم ؟

لقد بنت هذا الدير وتوارت وراء جدرانها ، وعاشت منه في المنطقة الحرام بين الميادين ، فلا هي بحياة الناس الدنيا ، فيها بتها وملاهيها ومشاعلها ، ولا هي بالحياة الأخرى ، منطقة وراء الحياة ودون الموت ، هي ميشة الدير . وزادها ضيقاً وجوداً أنها في الدير وحدها ، ينشئه لتأوى إليه تنجى فيه ذكريات حبيبها التي فحمت به ، وعافت لأجله الأرض برحبها وسمتها ، وصبرت على هذا السجن الدهر الأطول ، لا تدري مما وراء بابها إلا طرفاً مما

واستباح من الحقوق ما استباح ، بفضل ما علمته من فنون المواء والتباح .

وليس هذا أول من نبج ، فكسب بنباحه وريح : وكمن من الناس آثروا أن يبلثوا أهدافهم بالهراء ، ويتسمنوا المجد بقول جفاء . فتصنموا الجنون ليصبحوا أعزة ، بعد أن أعوزهم أن يظفروا في ظلال العقل بالكرامة والمنة ، كما قفل صاحبك « رأس الوزة » .

فلترض يا صاحبي بهذا الجزاء العادل ، فما ظلم « رأس الوزة » ولا غبن ، ولكنك ظلمت نفسك بتلك المشورة فيمن ظلمت من الناس ، فلا تجزعن من سنة سنتها ، وخطة نهجها . وذلك أسوة سيئة في شبيهك التي وصفه الشاعر حين قال :

وكنك إماماً للبشيرة ، فتعنى إليك ، إذا ضاقت — بأمر — صدورها

فلا تجزعن من سيرة أنت صرتها ، فأول راض سنة من يسيرها

عبد الله محمداً وثق الأسر كامل كبريتي



قرية كأنها لم يطلع لها صبح ، فإن ياتبصر<sup>(١)</sup> مكانها من الوجود ، أفتيت وعادت عدماً ؟ لا ، إن الفناء لا يقوى عليها . إنها موجودة في التكون كوجودها في ذاكرتها . إن الفناء لا يدرك حقيقتها كما أن النسيان لا يقوى على محو صورها . إنها لا تشيع من الإيغال في هذا الماضي ، لأنها كلما أوغلت فيه جددت لها طرق ظلية لا عهد لها بها ، قد أزهر فيها المجد وبدا السنا ، ورجأ على كل رابية فراش عرام مرشوش بالمطر والشعر ، ووجوه أحبة كانت تعيش بهم ولم ...

ولطالما اجتوت (من محبتها هذا الماضي) حاضرها فخا مرثها فكرة الموت ، فشت تقصد النهر حتى إذا أدنتها خطاها الراحنة من مائه ، ورأتها تلعب كالرآة ، أشفت من الموت وهابنه وارتدت عنه للمرة الخامسة بعد الألف . إنها لا تريد أن تموت ، ولا تزال متعلقة بحياة قد أقترت من المجد والحب .

\*\*\*

ولما دلفنا إلى غدعها في الدير سمعت ضجة ، وقالوا لها ، إنه الأمير المنيرة بن شعبة يستأذن عليك . الأمير ؟ ما لها وللأمير ؟ ما شأنه بها ؟ ما يبتنى لديها ؟ أما تركت له ولقومه ملك أيها فلم لا يترك لها ذيرها ؟ وفكرت ... ثم أذنت له . فدخل عليها فبسط له سجاً ، وسأته : ما جاء بك ؟ قال : جشك خاطباً ؟

خاطباً ؟ إنها كلمة لم تستمعها من عمر طويل ، فلما طرقت سمعها هزت وترأت في قلبها كلن قد صدى ، ونبت ضيفها وقفزت إلى الماضي فنابت عن حاضرها ، وغرقت في ذهلة عميقة امتدت أبداً ، والتيرة يرقب جوابها ولكنه كان أكبَس من أن يفسد عليها أحلامها ، فانتظر ساراً ...

\*\*\*

تخيلت أنها قد عادت فجأة تلك الفتاة التي كانت فتنة القلب والنظر ، وكانت مطمح الأنفس والفكر قد جمع الله لها المجد كله والجمال كله ، فهي عروس الزمان بهاء وجسماً ، وهي بنت النعمان أعز عربي عزاً ، وأجده مجداً ، وإنها قد عادت أيام الحيرة ، ورجع

( ) لذا - زان قول (يا ترى) فلم لا تحول (يا تبصر) فتجو من هذا الابتغال وتأتى بمجيد والاعراب في كليب واحد فسد ل (يا) شاعره وخاطبه

يحمه إليها رجال القوافل الذين كانوا يمررون بها ، وكان أقصى ما تصنعه إذا هي نشطت يوماً ، وأحبت أن تقارق منسكها ، أن تسلك هذا الطريق الذي طالما مر عليه فاتحون ومتهزمون ، وسارت فيه الحضارة مُصمّنة وهابطة ، ومشى فيه ملوك وسوقة ، وسوقة وملوك ، ذهبوا جميعاً إلى حيث لا يؤوب ذاهب ، حتى تنب من السير ، فتجلس على واية ، وتشرف على البلد الحبيب : الحيرة ، التي كانت يوماً موطن هواها ، وكان فيها الإنسان الذي أعطته قلبها وأعطاها متعة العمر ، فترى الحيرة لا تزال ترقل في حلل الخزامى والأفحوان ، ولا تزال قصورها البيض تحظر تياهة بين البساتين ، ولا يزال نسيمها معطراً بأنفاس المحبين ، تطفو على وجهه وسوسات القبل ذمسات الترام . ولكنها لم تكن نجما فيها ، كانت تفكر في ماضيها ، وما أصعب أن يعيش المرء في الماضي ، ثم تذكر أنه لم يبق أحد من ناس بلادها الحبيب ، لقد ذهبوا ، ولا تدري أين ذهبوا ، ولم يبق من وحدها من يدمى بدماء وجاء هؤلاء ، ولا تدري من أين جاءوا ، حتى تنرب الشمس وراء الأفق البعيد ، وتغشى الظلمة إلى الكون ، فتعود وفي قلبها ظلمة أخرى ، ولكنها لا تأمل أن يكر عليها فجر يوم جديد . لقد خلفت ضياء الفجر في طريق العمر فلا تملك أن تعود إليه . لقد كتب عليها أن تعيش في ليل دائم وصمت سرمدي هو صمت هذه الصحراء التي آوت إليها ، وآتت سكنها ، الصحراء التي وسع صدرها أسرار الزمان ثم أغلق عليه إلى الأبد . كم بين ترابها وورملها ، كم تحت روايبها وقصورها ، من بقايا قلوب كانت محبة وكانت محبوبة ، وأجسام كان فيها فتنة وجمال ! وما أقرب ما يصير قلبها هي (أيضاً) تراباً فيها تطفؤ أقدام لا تعرف أصحابها ... فاما الحب ، وما الجمال ، وما الدنيا ؟ إنها زوال في زوال .

وقامت المجوز تجر رجلها إلى الدير لتبدأ ليلة عملة طويلة كآلاف الليالي التي مرت بها من قبل ، ليالي لا آخر لها ، ولا أمل يسطم من خلالها . إن السجين يأمل بالعفو ويرجو الحرية ، ويتلى بحديث الرقائق ، ويأنس بأحداث السجن ، وهي لا ترجو شيئاً ولا تأنس بأحد ، ولا تتلى بمحادث . ولطالما أمضت ليالي قصيرة حلوة ، تلك هي ليالي الحب والوصال ، ليالي زوجها عدى فتى الفتيان ، وأبيها النعمان . إنها كلما فكرت فيها رأيتها فانية منها ،

الفصح والشمانين ، فخرجت إلى البيعة تتقرب فيها ، فلما احتوتها البيعة ، وأمنت الانتظار ، ألقت عنها ثمارها ، وأخرجت هذه القلوثة من صدقها ، وأبدت ذلك الجسم الذى كانت تنقطع على الوصول إليه تلعب الرجال ، ولم تدرك أن الزمان أراد أن يؤلف قصة حب تتلى بعد أربعة عشر قرناً ، فجاء ببنى بن زيد الشاعر الجليل ليختلص النظر إليها ، ويقع في قلبه هواها ، فلما رآه استترت منه وسبت جواريسها ، وظنت أن القصة ختمت قبل أن تهتج ، لم تدرك أنها قد سطرت منها الأسطر الأولى (تكون سفر سعادتها المأجلة وشقائقها الطويل) بدا (مارية) الجيلة الخيثة ...

لقد كانت مارية تحب عدى ، ولا تجمد إلى الوصول إليه سبيلاً ، إلا أن تأتى مهند لتدخلها مكان المحبوبة من قلبه ، ترضى بذلك حبها ونفسها ، وقد بقى الحب في الحبيب ، فبني مسرته على أساس من شفاء نفسه ، ومشت بين عدى ومهند تدير خيط الحب من حولها ، حتى غدا سيباً قويا ، وجامعة لا تنقطع . لقد صبرت حتى مضى جول كامل على يوم الشمانين ونسيت همد ، فواعدت مارية عدى بيعة ثوما ، وأغرقت هندا بزوارتها ، فاستأذنت أمها فأذنت لها وهناك عرفت همد ما القرام ، وذات غصصه ...

يا ويل مارية ! لقد جعلت هندا مهراً لها لزواج ليلة (١) لقد تعرضت لعدى غداة يوم ثوما ففش لها وبش - وقد كان لا يكلمها - وقال لها : ما غدا بك ؟ قالت : حاجة ! قال : اذكريها فوالله لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك إياه .

قالت : أريد ... وسكت ، وأدركها الحجل ، ونظقت عينها وفهم عنها ، فأخذ يدها إلى حانوت تخار في الحيرة ... وكافأته بأن وعده أن تحتال له في همد ...

وتتالت الصور على قلب همد ، فذكرت ليالى زواجها ببنى ، فكانت لقوة الذكرى تحس على لسانها حلاوة تلك القبل ، وتجد على عتقها لذة ذلك العناق ، وعاد قلبها شاباً ، على أن قلب المرأة والشاعر لا يفارقهما الشباب أبداً . ومدت يدها إلى الميرة ، تحب أنه لما طفى عليها من الخيال ، عدى الحبيب ، فلما أحس بها أجفل منها وانتفض ، فهاوى الحلم وتهافت ، وهبطت المسكينة إلى أرض الحقيقة الصلدة ، فإذا هي لم تمارق أرضها ولم تنظر في سماء الأمانى

(١) لأنهم كانوا قوما نصارى غير لساؤم .

وإذا هي تتحسس وجعها فتلقاه ذابلاً ذائياً ذا غصون ، ولا تلتقي على لسانها من قبل الحبيب إلا مرارة الفقد ، ولا تجد في قلبها إلا ذكرى الفاجعة التي تركت لأجلها دنياها وبنت دبرها فحبت فيه نفسها ، فإذا يريد منها هذا الرجل الذى اتعم عليها مستزلاً في هذه المشية الساكنة ، أجاه يخطب عجوزاً قد بقيت وحدها إرثاً من الدنيا التي فنيت واضمحلت : دنيا النعمان وكبرى ، للدنيا التي يظهر أنها لن تضمحل أبداً : دنيا محمد ؟ أريد أن يتزوج ميتة تسمى ؟ لا . بل هو يريد ابنة النعمان ، ونسيت تطوافها الأليم بمرايح ماضيها ، وغاب عنها الحبيب الذى كان يترأى لها من وراء حجب الزمان - وأدركها أمها الماخذ من حزم النعمان - فقالت للمغيرة :

« لو علمت أن في خصلة من جمال أو شباب رغبتك في لأجبتك ، ولكنك أردت أن تقول في المواسم ، ملكك مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فحقن مبعودك هذا أردت ؟ » قال : « أى والله » قالت : « لا سبيل إليه (١) » .

\*\*\*

وخرج المغيرة ، وعادت العجوز إلى مكابدة الذكريات وحيدة في لياليها الطوال ... وأعرض عنها التاريخ لا يلتفت إليها قيواسها ، لأنه لم يتعود الوقوف إلا على أبواب اللوك ، وفي ساحات الحروب !

على الطنطاوي

(١) جل من التاريخ ، والقصة على عهدة الشيخ الأموى صاحب الأمان

### وزارة المعارف العمومية

تعلن عن حاجتها إلى معلمات الموسيقى في مدارسها يقمن بتدريس قواعد الموسيقى والغزف والصوليتج والأناشيد بمحركات ستقبر حسب المؤهلات . وتقدم الطلبات للادارة العامة لتعليم البنات لناية ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥ ومحضر الراغبات إلى المدرسة السنية بالقاهرة في ٢٩ منه

٤٥١٠

(٩) Dogmatism — التوكيديون هم القائلون بإمكان معرفة الحقائق القصوى (للقرب) .

مصدرها توقف الأشياء كلها على الكائن المطلق ؛ وإن علم الدين أو اللاهوت ليسو على الفلسفة سمو الله على الإنسان . بالرغم من كل هذا الذي سلمه كيانلا للكانتوايكية ، وبالرغم من رسالته الموسومة « بالإلهاد المتصر » ، كانت محاولاته في الإصلاح موضع ريبة الكنيسة ، فلم يتحقق منها شيء . وقد يئست الفلسفة بعد أن تظفر بمزيد من التقدم في إيطاليا ؛ فقرأها من ذلك الوقت تقيم في البلدان التي أنارها أو حررها — الإصلاح الديني : في إنجلترا ، وعلى منفتي الراين (١) .

(بنداد) عبر الكريم الناصري

(١) يد جيوفاني باتيستا فيكو (Vico) — التوفى عام ١٧٤٤ — أشهر الفلاسفة الإيطاليين في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد عرف خصوصاً بكتابه « العلم الجديد » ( نابلي — ١٧٢٥ ) وهو من أول المحاولات لإيجاد فلسفة التاريخ . وقد حاول مفكرون محدثون تقديره من أمثال جيلوي ، وروسيني ، وچيوريقي ، وماياني ، وفراري — أن يبدوا إلى إيطاليا ما كانت تتعبد به في عصر الأحياء من جاه قلبي . انظر في ذلك رفايل مارانو : « الفلسفة للعاصرة في إيطاليا » :  
Mariano: "La philosophie contemporaine en Italie," Paris, 1868 (المؤلف)

إدراكنا خلقاً . إنا لأجل أن نعرف الأشياء على ما هي عليه ، أو بصورة مطلقة ، يجب أن نكون « للمطلق » من حيث هو ، أي نكون « الخالق » نفسه . على أن معرفتنا وإن كانت مثلاً أعلى لا يستطيع الإنسان تحقيقه — وهذا دليل يبين على أن هذه الدنيا ليست بذاته الحق — فإن من واجب الفكر أن يشتغل بالبحث اليتافيزيقي .

واليتافيزيقي ، أو الفلسفة الكلية ، باعتبار موضوعها ، هي علم مبادئ الوجود أو شروطه الأولى ؛ وهي ، باعتبار مصادرها وآلاتها ومنهجها ، علم العقل ، الذي يفوق العلم التجريبي يقيناً وسلطاناً .

والوجود أو الكينونة معناها الصدور من مبدأ والرجوع إليه . ترى ما هو هذا المبدأ ؛ أو بالأحرى ما هي هذه المبادئ ؟ فإن الوحدة المجردة شيء عظيم . وبعبارة أخرى : ما هي شروط وجود الوجود ؟ الجواب :

١ — أن يكون « قادراً » على الوجود .

٢ — أن يكون في الطبيعة فكرة أو « مثال » ، هذا للوجود تحقيق له (لأن الطبيعة لا تحدث شيئاً بغير علم) .

٣ — أن يكون ثم « زرع » إلى تحقيق الثال . فالتقيرة والعرفة والإرادة هي مبادئ الوجود التسبي . ومجموع هذه المبادئ ، أو (بالأحرى) الوحدة العليا التي تحويها ، هي الله . فالله هو القدرة المطلقة ، والعرفة المطلقة ، والإرادة أو المحبة المطلقة . وللمخلوقات أيضاً قدرة وإرادة وإدراك ، وحفظها من هذه الصفات تتفاوت بتفاوت قربها من مصدر الأشياء . فإن الكون نظام متدرج ، ينتظم العالم الملقى ، أو الملائكي ، أو اليتافيزيقي (الملائكة ، والنفس العامة ، والنفوس الخالدة) والعالم المسمى أو الرياضي ؛ والعالم الزمني أو الجسماني . وكل هذه العوالم — حتى العالم الجسماني نفسه — تشارك في المطلق ، وتمكس عناصره الماهوية الثلاثة : القدرة والعرفة والإرادة .

كل موجود قائما يصدر عن الكائن المطلق ويسمى إلى الرجوع إليه . وبهذا المعنى يصح أن نقول إن الموجودات المتناهية كلها بلا استثناء « تحب » الله ؛ كلها دينة ؛ كلها تسمى إلى أن تحيا حياة الخالق الألهائية ؛ كلها تخرج من اللاوجود ، وبما أنها جميعاً تحمل في نفسها اللاوجود بالإضافة إلى الوجود ، فكذلك تحب الله أكثر من ذاتها . إن الدين ظاهرة كلية ،

صدر



# قصّة بني إسرائيل

في القرآن الكريم

للأستاذ علي محمد حسن

—•••••—

[مقدمة لليهود القرون العشرة الذين يريدون  
دخول فلسطين بالقوة بمناخية وعد بقور].

الناس إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ومنذ ذلك الحين  
ومعاول الفتن تهدم في دعائم السياسة الإسلامية ، وبسوء دخلهم  
اختلطت الخرافات والأساطير بالتراث الإسلامي فكدرت منه  
الصافي ، وعبرت منهاجه الواضح ، ونالت من حقائقه السامية .  
واليوم يتجلى لنا مصداق هذه الآية ، فترام مصدر فلاق للرب  
عامة والمسلمين خاصة وإنا لعل يقين أنه سيمدق فهم قول الله  
مز وجل « وإذ تأذن ربك ليمعّن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم  
سوء العذاب » (١) .

والعجب — بل ليس بعجب لأن الأمم بأخلاقها — أن  
بني إسرائيل أعيّوا جميع أنبيائهم ، حتى بلغ من كفرهم أن قتلوا  
بعضهم « ويقتلون النبيين بغير الحق » (٢) . شكّا منهم موسى  
« رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم  
الفاسقين » (٣) وشكّا منهم هرون « إن القوم استضعفون وكادوا  
يقتلونني » (٤) . وشكّا منهم داود وذكرا يحيى ؛ وأخيراً يسميهم  
الله بهاتين الآيتين ويصمهم بهما « لمن الذين كفروا من بني  
إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا  
يمتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » (٥)  
ثم كانوا شوكة في جنب الدعوة الإسلامية ، فحاولوا أن يطفئوا  
نور الله بأقواهم ، ولكن الله التي يعلم خبث نفوسهم عاجلهم  
بالعقوبة « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من  
ديارهم لأول الحشر ما ظننهم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم  
من الله فأناهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب  
يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين » (٦) .

•••••

زل يعقوب وهو إسرائيل مصر في زمن ابنه يوسف عليه  
السلام وأعقب بنين اثني عشر كانوا فيما بعد فرقا سماهم القرآن  
أسباطا وتكرر ذكرهم فيه ، وظلوا يصمون بخيرات مصر وأرزاقها  
زمتا طويلا حتى جاء (رعسيس الثاني) فاضطهدهم وعاداهم عدا

أشرت في عدد سابق من الرسالة إلى بعض مواقف بني إسرائيل  
مع نبيهم القوي الأمين موسى بن عمران ، وعطفت بإشارة أخرى  
إلى بعض مواقف أجدادنا العرب في نصرة دينهم ، وميكت بين  
الشميين ووزنت أقدار أولئك بأقدار هؤلاء . فشالت كفة  
الإسرائيليين وخفت موازينهم .

واليوم أهدى إليهم قصة آياتهم مفصلة بعض التفصيل ، ولست  
أجنح عليهم ولا أزيد فإت الحقائق نفسها أعجب من سبحات  
الخيال . وسأكتفي — ما استطعت — بما جاء في كتاب الله  
الحكيم الذي جاء مصداقا بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه  
والتي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

ولقد هي القرآن بأخبار الأمم السابقة لمكان العبرة فيها  
وموضع العظة « لقد كان في قصصهم عبرة لأول الألباب ، ما كان  
حديثاً يفتري ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء .  
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١) . ولكنه غنى عناية خاصة بأعاجيب  
بني إسرائيل ليهون على النبي صلى الله عليه وسلم ما يلقاه من يهود  
المدينة فهم — كما بهم — أهل غدر وخيانة ، وظلالا نكثوا عهودهم  
« الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون » (٢)  
وليهدم إذا استمرأوا هذا الرعي الوبي واستمذبوا هنا الورد  
الأسن من الغدر والكيد والخيانة بأن مصيرهم كصائر آبلهم ،  
كما حذر الله النبي والمؤمنين منهم « تتجدن أشد الناس عداوة  
للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » (٣) ولقد صدق الله قباييلهم  
فتح باب الشر على المسلمين . فتحة عبء الله بن سبأ فتقدمته

- (١) سورة الأعراف ١٦٧ . (٢) سورة البقرة ٦١  
(٣) سورة الأعراف ٢٠ . (٤) سورة الأعراف ١٥٠  
(٥) سورة الأعراف ٧٨ ، ٧٩ .  
(٦) سورة الحجر ٢ .

- (١) سورة يوسف الآية ١١١ .  
(٢) سورة الأعراف ١٠٦ . (٣) سورة الأعراف ٨٢ .

شديدا وجعل يقتل أبناءهم ، وأراد الله أن يسمع عليهم نعمه  
فنجاه وأهلك عدوم و ( دلهم وأعطاهم حكم الصبي على أهله  
فأتاهم بالمجانب وفعل بالأثم الظالة لهم الأفاعيل ، واحتمل صلتهم  
وطغيانهم ولم يترك وسيلة من وسائل استرضائهم إلا فعلها وهم  
لا يريدون إلا عناداً ومخالفة عن أمره )<sup>(١)</sup> . جاء موسى إلى فرعون  
يدعوه إلى الله وحده لا شريك له ويستوهمه بني إسرائيل ،  
ولكنه طغى واستكبر وقال أنا ربكم الأعلى ، فأوحى الله إلى  
موسى أن أسر بعبادى فأرأوا فرعون ينبهم ، فقالوا إنا  
لندكون . قال كلا إن منى ربى سيدين . وفرق بهم البحر الأحمر  
وعبروا فأتهم فرعون وجنوده بنيأ وعدوا حتى إذا أدركه الفرق  
قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل « وإذ نجيناكم  
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون  
نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم . وإذ فرقنا بكم البحر  
فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون »<sup>(٢)</sup> . وكانت  
هذه نعمة عظيمة لو أقتوا اعمارهم ساجدين لله شكراً ما وقوها  
حقها ، لكن نفوسهم الخبيثة أبت إلا أن تستعلن فاكدوا  
بعبور البحر حتى نسوا ما كانوا فيه وجحدوا نعمة الله عليهم  
وطلبوا إلها غير الله يعبودونه « وجاوزنا بيني إسرائيل البحر فأتوا  
على قوم يمكنون على أصنام لهم ، قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم  
آلهة »<sup>(٣)</sup> . وهبت لوسى أن يكون معهم هذه المرة لطيفاً هادئاً  
وأن يجادلهم بالنطق ويدعوم بالتي هي أحسن « قال أغير الله أبنكم  
إلها وهو فضلكم على العالمين »<sup>(٤)</sup> . وسكنوا إلى حين وخضروا  
على دخن ، فلما ستحت لهم الفرصة نهزوها فلما كاد موسى يذهب  
لنأجاة ربه حتى صنعوا من حلبيهم مجالا يعبدون ، وعبثاً حاول  
هرون أن يردم قال « يا قوم إنما فتنم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني  
وأطيعوا أمرى . قالوا لمن نخرج عليه عاكفين حتى يرجع إلينا  
موسى »<sup>(٥)</sup> . « ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال  
بئسما خلفتموني من بعدي ، أعجلتم أمر ربكم ، وألقى الألواح وأخذ  
برأس أخيه يجره إليه ، قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا  
يقتلوننى ، فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .

وهنا نرى عجيبة من أكبر عجائبهم ، وذلك أن موسى تخلفهم  
واختار منهم سبعين رجلاً ليتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، وكان  
الظن بهم أن يكونوا بررة أطهاراً ، ولشد ما دهنس موسى حينما  
قالوا له « لن تؤمن لك حتى ترى الله جهرة »<sup>(١)</sup> فتدبهم القرآن ،  
وجعلها غزاة في أعقابهم « يأسلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم  
كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أؤنا الله  
جهرة »<sup>(٢)</sup> . وويح العرب لما حاولوا أن يعتوا مع النبي « أم تريدون  
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ، ومن يتبدل الكفر  
بالإيمان فقد ضل سواء السبيل »<sup>(٣)</sup> . ثم أخذ موسى يشرح لهم ما  
فى الألواح ويعرض عليهم شريعته ، ولكن رأى من كفرهم وعنادهم  
ما جعل الله تعالى يريهم آية من آية « وإذ تلقنا الجبل فوقهم كأنه  
ظلة وظنوا أنه واقع بهم فخذوا ما آتيناكم بقوة وأذكروا ما فيه  
لعلكم تتقون »<sup>(٤)</sup> . وكان من شأنه بعد ذلك ما ذكرته فى (الرسالة)  
سابقاً من دعوة موسى لهم إلى دخول الأرض المقدسة ونكولهم  
عنها وخوفهم من سكانها فحرم عليهم أربعين سنة يتيهون فى  
الأرض . وهناك فى التيه أنزل الله عليهم المن والسلوى وظلل عليهم  
النعام ولكنهم يشكوا من هذه النعم وملوها وقالوا يا موسى « لن  
نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض  
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها »<sup>(٥)</sup> . ومات هرون  
فى التيه ومات موسى ومات جيلهم القديم فلم يكن من الناشئة  
إلا كما كان من آبائهم ؛ أمروا أن يدخلوا (أريحاء) فدخلوها  
ولكنهم بدلوا قولاً غير الذى قيل لهم .

ولعل من أولى مواقف بنى إسرائيل بأن نهديه إلى يهود اليوم  
ما كان منهم مع نبيهم صموئيل « ألم تر إلى اللا من بنى إسرائيل  
من يمد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله ،  
قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ؟ قالوا وما لنا ألا نقاتل  
فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ؟ فلما كتب عليهم  
القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين »<sup>(١)</sup> . ولو ذهبنا  
نتتبع جميع مساوئهم لطال بنا القول فتجترى بهذا التعدي عليه  
بلاغ . ولكن يبدو هنا سؤال وهو إذا كان بنو إسرائيل بهذه

(١) سورة البقرة ٥٥ . (٢) سورة النساء ١٥٣ .  
(٣) سورة البقرة ١٠٨ . (٤) سورة الأعراف ١٧١ .  
(٥) سورة البقرة ٦١ . (٦) سورة البقرة ٢٤٦ .

(١) قصص الأنبياء للرخوم الشيخ عبد الوهاب التتار من ٣٥٤ .  
(٢) سورة البقرة ٥٥ ، ٤٩ . (٣) سورة الأعراف ١٢٨ .  
(٤) سورة الأعراف ١٤٠ . (٥) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .



قصد إليه ديكارت ، بل هي « المجهود » التي يقوم عليه إدراك الذات لنفسها .

ولما كانت الواقعة الأولية للذات « Le Fait primitif » هي إدراكها لنفسها ، من حيث هي قوة حرة ، تسلم وتشرع في الحركة ، بإرادتها الخاصة ؛ فإن السؤال ( في نظر دي ييران ) لا أن نقول ( كما قال ديكارت ) : « أنا أفكر ، فأنا إذن موجود » أو بعبارة أخرى : « أنا أدرك نفسي باعتباري علة حرة ، فأنا إذن علة موجودة بالفعل » . وفي موضع آخر نجد مين دي ييران يوضح مقالة ديكارت فيقول : « إذا كان ديكارت قد توهم أنه اهتدى إلى البدأ الأول لكل علم حين قال : « أنا أفكر ، فأنا إذن شيء موجود ، أوجوه مفكر » ، فإن في استطاعتنا أن نقول — تصويهاً لهذه العبارة — وبالإستناد إلى شهادة الحس الباطن التي لا ترد : « أنا أفضل ، أنا أريد ، أو أنا أتمتع بالفعل في ذاتي ، فأنا إذن أدرك نفسي كلمة ، وإذن فأنا موجود ، أو أنا كائن باعتباري علة أو قوة » .

هذه الحقيقة الأولى التي يؤكدها دي ييران بكل قوة ( حين يقول إن الذات تدرك نفسها باعتبار أنها مجهود ، وإرادة ، وفعل ) تدلنا على أن فيلسوفنا هذا كان المؤسس الأعظم للمذهب الروحي في العصر الحديث ؛ وهو المذهب الذي ساعد على تقدم علم النفس ونظرية المعرفة ، والعلوم الخلقية على وجه العموم ، في نهاية القرن التاسع عشر . والواقع أننا إذا نظرنا إلى ييران ، سواء من الناحية الذاتية أو من الناحية الموضوعية ، فإننا نجد أنه من أعظم المفكرين الذين قادونا إلى الناحية الباطنة في الإنسان <sup>(١)</sup> . بل ربما كان ييران أعظم فلاسفة المذهب الروحي في فرنسا . وهو بالفعل قد توفر على التوسع في المذهب الروحي الذي أقامه أستاذه « لينتس » ، فأظهرنا على أن الإنسان ( في حقيقة الأمر ) ليس ألموية في يد الأقدار ، أو عبداً ذليلاً للضرورة المستبعدة ، بل هو ذات مريدة فاعلة ، لا تستمد نشاطها وقدرتها على الفعل من الأشياء الخارجية ، بل من جهدها الإرادي ونشاطها الذاتي ، أعني من الإرادة .

والنفس الإنسانية — في نظر ييران — لا تتمثل باعتبارها

(١) لا بد لنا أن نشير إلى أن الناحية الذاتية عند ييران ، كما نكشف عنها مذكراته الخاصة « Journal intime » ، تتفق تمام الاتفاق مع الناحية الموضوعية عنه ، كما يكشف عنها كتابه للرسوم باسم : « علم الإنسان » Anthropologie .

## مين دي ييران

( ١٧٦٦ - ١٨٢٤ )

فيلسوف المذهب الرومي في العصر الحديث

للاستاذ زكريا ابراهيم

مين دي ييران فيلسوف فرنسي ممتاز ، أدرك الباحثون قيمته بعد وفاته ، فاهتموا بنشر مؤلفاته ، واعتنوا بدراسة فلسفته . وقد ذاعت شهرته على آو ذلك ، فأتى مذهبه رواجاً كبيراً بين الأوساط الفلسفية التي أقبلت على دراسته .

والفكرة الأساسية التي يقوم عليها مذهب « دي ييران » هي أن الحقيقة الجوهرية الأولى ليست سوى « الذات » باعتبارها مريدة ، أي « الروح » باعتبارها فاعلة . فتا يكون جوهر الإنسان ، إنما هو الإرادة . والإرادة هي التي تميز الإنسان عن الحيوان ، لأن الإنسان لا يحيا ويحس ويشعر غيب ، بل هو يفكر ويريد وفعل . وإذا كان الإنسان يدرك ذاته ، فإنه لا يدرك هذه الذات إلا باعتبار أنها علة ، وقوة ، وإرادة ، وجهد ، وفعل . ومعنى هذا أن نقطة البدء في كل معرفة حقيقية ، إنما هي تلك الواقعة الأولية للشعور أو الوعي الإنساني ، وهي الحس الباطن أو التجربة الباطنة . وفي هذه البداية يتفق دي ييران مع فخته Fichte أخافاً كبيراً ، حتى لقد سمى كوزان فيلسوفنا باسم : « فخته الفرنسي » .

غير أن دي ييران يستبدل بفكرة فخته عن « الفعل » فكرة أخرى جديدة هي فكرة « الجهد » . فالواقعة الأولية عند مين دي ييران ليست هي « الإحساس المجرد » التي يقول به كوندillac Condillac ، وليست هي « الفكر » بالمعنى الذي

الأخلاق فكيف اختارهم الله ؟ والجواب عند سيدنا موسى على ما ذكرته التوراة : لا تظنوا أن الله سيأتى بكم الأرض المقدسة بسبب قدامتكم ومهارتكم وأنكم أفضل الناس في طاعته . كلا . فإنه إنما يطرد الأمم أمامكم لردائهم ورجسهم العظيمين .

على محمد حسن

الفرنسي بمعهد القاهرة

من وحي الصيف :

## على جبل الرويس

لأستاذ من الأئمة

سفياً لأيام الرويس فطالما  
ماقي الجمال النض في ذرواته  
ونشوقنا الأصباح في أفيائه  
قد جثته قلباً ينوء بدهره  
عبست له الدنيا فلم ير باسمها  
رضى الشجون من الحياة صحابة  
حتى إذا برز الرويس وأقبلت  
بشت هوى القلب القديم وهيجت  
وجلت لنا الحسن الرفيع وأطلعت  
وطلمت يا ظمياء في صرح الصبا  
ودعوت للحب المبرج والجورى  
أحييت أفياء الرويس وإنما  
قالبية القمراء فيه لم تكن ،  
والروضة الفناء ما كانت لنا  
لم يحل لولاك الرويس ولم يطب  
قد كنت بهجته وكنت رواده  
تمشين في الأرجاء عاطرة الشذى  
وبطل وجهك في السجوف كأنما  
وأراك في غسق الزمان فأجلى  
يا أيها الجبل الأثم أسمع  
إنى لأطرح في ذراك كآبى  
وتهيجنى ظمياء فيك ملاحه  
كانت ليالينا عليك ضواحكا  
أرشفنا العذب الزلال على الظا  
وعرفت في واديك غر مباحجى  
إن تحببني العيش الرقيق فليأتني  
وأرتل الشعر الرقيق منمقاً  
( بغداد )  
من الأئمة

ذاتاً فاعلة ، إلا بالممارسة المستمرة لقوتها الخاصة ؛ ما دامت هذه  
الممارسة حرة غير خاضعة لأية ضرورة أو قوة خارجية ، أى ما دامت  
غير متوقفة على قوى الطبيعة الخارجية .

وقد فرق يبران بين الإنسان والحيوان من جهة ، وبين  
الإنسان والله من جهة أخرى . غير أنه لم يقصد بهذه التفرقة أن  
يقيم هوات غير معبورة بين الحيوان والإنسان ، أو بين الإنسان  
والله . وإنما الذى أهتم به يبران وقصد إليه فعلاً ، هو أن يقرر تلك  
الحقيقة الهامة عنده ، وهى أن الحياة الإنسانية بمعنى الكلمة إنما  
هى تلك التى تعلو على المستوى الحيوانى . وما يميز الحياة الحيوانية  
( فى نظره ) هو أنها تخضع للانفعالات الممياء ؛ أعنى أنها لا تتميز  
بالحرية والإرادة والإختيار . وعلى الرغم من أن يبران لا ينزل  
بالحيوان إلى درجة « الآلة » ، كما فعل ديكارت ، فإنه يعتبر أن  
الحيوان يحيا دون أن يعرف ما هى حياته ، ويشعر دون أن يعرف  
أنه يشعر ، أى ببساطة أخرى ليس لديه « ذات » أو « إنية » .

أما الحياة الإنسانية فإنها تبدأ حيث تنتهى الحياة الحيوانية ،  
أى حيث يبدأ الشعور بالذات ، أو التجربة الباطنة التى تدرك فيها  
الذات نفسها على أنها قوة فاعلة وإرادة حرة . وبعبارة أخرى فإن  
الإنسان لا يحيا حياة إنسانية خالصة ، إلا بقدر ما يتحرر من  
الضرورة الممياء ، والأهواء الأنانية . والحيوانية داخلية فى الحياة  
الإنسانية ، نظراً لأن الإشمال موجود فى الإنسان إلى جوار  
القلل ؛ ولكن فى استطاعة الإنسان أن يشارك فى حياة غير  
إنسانية ، هى حياة الروح التى تعلو على الحياة البشرية . وفى هذا  
الصدد يتفق يبران مع نيتشه الذى يقول : إن الإنسان وتر مشدود  
بين الحيوان والإنسان الأعلى . — وما يميز الحياة الإنسانية بالنسبة  
إلى الحياة الحيوانية والحياة الروحية ، هو النشاط والشخصية وحرية  
القلل ؛ أعنى المجهود الذى يبذله الإنسان فى مقاومة الأهواء ،  
وتنمية قواه النفسية ، من أجل الوصول إلى حياة إنسانية بمعنى  
الكلمة . أما بالنسبة إلى ما هو دون الإنسان أو ما هو فوق  
الإنسان ، فليس ثمة جهاد أو صراع ، لأنه ليس ثمة جهد  
أو مقاومة — .

والحياة الإنسانية هى فى أعلى صورها تحرر من نير الأهواء  
والانفعالات ، وتجاوز لمرتبة الحياة الحيوانية ، وارتقاء إلى مرتبة  
الحياة الروحية .

تكريماً لبراهم

مدرس الطلبة بمدرسة الرويس الثانوية

انتهيت من قراءته عدت إلى التأمل في مقصده التي تقول فيها:  
« إلى مصر الخالدة ، التي عاهدت ربى أن أعيش من  
أجلها ، وأقضى في سبيلها ، عزيزاً على عدائها ، ذليلاً على  
حائها ، سيداً حر الضمير في خدمتها ، عبداً مقرباً إلى  
الله بطاعتها » . فعلت وتحققت أن الكتاب يعرف من عنوانه .  
تقبل أيها الزميل الفاضل خالص تهنئتي على هذه التحفة  
الأدبية والإجتماعية والروحية التي أخرجتها لمصر وللتناطقين بالصادق  
وشكراً لك وآلف شكر والسلام .

عبد الرحمن الرافعي

### مكتبة الكيخروني للأطفال<sup>(١)</sup>

... وهكذا نجحت - يا أستاذ - في أن تحبب إلى الأطفال  
مكتبتهم وتفرتهم بالمطالعة<sup>(٢)</sup> . ولئن أدرك الأطفال - بروض  
الأطفال - مراداً بعيداً ، لقد فتحت لهم ، بمكتبة الأطفال - فتحاً  
جديداً . أدركت أدب قومهم ، وأبدلتهم أنساً من عبوسهم .  
وهجت للمعالي أشواقهم ، وحسنت لنهم وأخلاقهم<sup>(٣)</sup> . والأستاذ  
الكيخروني منشى " مكتبة الأطفال أدب على جدير بما يهدف إليه  
من نبيل الأغراض<sup>(٤)</sup> . وإنه ليسرني - إذ أتابع مع التقدير هذا  
الجهد العلمي التواصل - أن ألاحظ مقدار العناية التي تبدلوها في  
هذا السبيل ، والفائدة التي تعود على النشء منه بتهيئة أذهان  
الأطفال وعقولهم لتقبل خير الأفكار والمعاني وتقديرها لهم على  
مثل هذه الصورة الطريفة<sup>(٥)</sup> . وإنى وقد تلبت هذا المجهود القيم  
التصل لا يسنى إلا الإعجاب بما تسامحون به في سد قصص يشمر  
به جميع الآباء في تعليم أطفالهم<sup>(٦)</sup> . ف شكر الله لك ما هدفت إليه  
من تنشئة الطفل : مشبوب الشغف بالقراءة والدرس ، موفور  
الحظ من متاع الفكر ، مستقيم اللسان على نهج البيان<sup>(٧)</sup> . فهي

- (١) نخبه من آراء حضرات أصحاب الرفعة والمعالي والسعادة مرة  
أماؤم على الحروف المحبابة  
(٢) أحمد لطفى السيد باشا  
(٣) أحمد نجيب الهلال باشا  
(٤) جعفر ولى باشا  
(٥) على سامر باشا  
(٦) محمد بهى الدين بركات باشا  
(٧) محمد توفيق رفعت باشا



رأى الأستاذ عبد الرحمن الرافعي في كتاب :

### من يوميات غمام

عزرى الأستاذ عبده حسن الزيات

قرأت كتابك الجديد (من يوميات غمام) فقصبت في قراءته  
وقتاً غير قصير استوعبت خلاله ما جاد به قلمكم من سديد  
النظرات ، وبديع الأفكار والتأملات ، وصادق الأمانى والآمال  
وقصبت وقتاً آخر في الإعجاب بالروح التي أملت عليكم هذا  
الكتاب . إنها روح الرغبة المتوثبة في الإصلاح والنهوض  
القوى والبرم بما يترص هذا الإصلاح من شتى الملل والعقبات .  
فياحبنا هذه الروح الطيبة واجبذا الكتاب الذى يبرزها ويجلها !  
رأيتك أيها الزميل تدون خواطرك وملاحظاتك اليومية عن  
الحماة والحياة القضائية والإجتماعية عامة ، وما أحوجنا إلى أن  
تصرف هذه الخواطر والملاحظات ، فإن الحماة ما هى إلا الحياة  
الإجتماعية على حقيقتها في معاملات الناس وعلاقاتهم بعضهم  
ببعض وما يتخللها من صدق أو غش ، ووفاء أو غدر ، وشجاعة  
أو جبن ، ونبل أو صفة ، وفضيلة أو رذيلة . إننا نشهد فيها صورة  
متناقضة من الحياة . ولقد جلوت هذه الصور ، ومجدت النواحي  
السامية منها ، واستنكرت نواحي النقص والضعف الخلقى فيها  
فجاءت يومياتك خير دعابة للمثل العليا .

رأيتك في كتابك تشرح بعض مواطن النقص من حياتنا  
القضائية عامة ، سواء في دور المحاكم أو في ملفات القضايا أو في  
أقلام الكتاب والمحضرين ، ولم يفتك أن تأخذ على زملائك في  
للجنة ما رأيت مروضاً للنقد . وفي الحق إنها لشجاعة أدبية تحمد  
عليها ، وإنها للملاحظات ومشاهدات جديرة بأن تكون أساساً  
للنهوض في نواح عديدة من نظمنا القضائية والتشريعية ؛ فإن  
هذه النظم على أنها سائرة في الجملة إلى الأمام في حاجة إلى معالجة  
وإصلاح مستمرين لا ينقطعان .

وفي كتابك ناحية أخرى جديرة بالإعجاب ، وهى أنك ما أردت  
منه إلا الخير والإصلاح ، وما قصدت إلا وجه الوطن ، وعند ما

بأدب الله تعالى ، وهذا أيضاً من إكرامه لهم ...  
ومن هذا يتضح للأخ الفضال أن تعبيره السابق عربي  
فراقي بليغ ، ولولا أن نقد الأستاذ لتعبير الشاعر عن تعبير  
القرآن الكريم من قريب أو من بعيد لما قوى الداعي الذي دعاني  
إلى توجيه هذا الحديث ، وجل التامني من التبيان !

أحمد السرياني

من علماء الأزهر الشريف .

### مجلة كلية البوليس :

صدر العدد الثالث من مجلة كلية البوليس الملكية ويشرف  
على تحريرها الأميرالاي على بك حلي . وهي حافلة بالأبحاث القيمة  
المتصلة بحياة رجال البوليس وعلاقتهم بالمجتمع فضلاً عما حوته من  
البحوث التشريعية والبحوث الاجتماعية الوثيقة الصلة بعمل  
البوليس . وقد اشترك في الكتابة بها طائفة من كبار رجال  
القانون والإدارة ممن اشتهروا بضلاعتهم في العلم واكتسبوا خبرة  
عظيمة في شئون الأمن ، ولذلك فسحت المجلة صدرها لفريق من  
طلاب الكلية فظهرت بها آثار أعلامهم الناهضة .

ومن ذلك نرى أن هذه المجلة تعد نهضة ثقافية جليلة الأثر في  
حياة الكلية . وسرد الفضل في ذلك إلى مديرها الأميرالاي  
على بك حلي الذي اشتهر بهمته في كل ما يلي من عمل والقي  
عرف ببحوته القيمة في كثير من نواحي الإجماع .

ونحن إذ نتوه بفضلنا نستحث رجال البوليس جميعاً على الإفادة  
من هذا الأثر الطيب ، ونستريد محرري هذه المجلة بمحونا جديدة في  
الأعداد القادمة ، ونرجو لها التوفيق النائم فيما ترمي إليه من غرض  
كريم .

م . ف

### نصوب :

وقم ( أيضاً ... ) في مقالة ( هذين مجنون ) في العدد ٦٤٢  
تطبيقات ، هذا صوابها :

|      |      |     |            |             |
|------|------|-----|------------|-------------|
| صفحة | عمود | سطر | خطاً       | سوابه       |
| ١١٤٢ | ١    | ١٦  | برفق       | برقه        |
| ١١٤٢ | ٢    | ١٩  | على خفقاها | عليه خفقاها |

أما من ظن أن أسخر بالجمليات الإسلامية فليسال الله أن  
يرزقه الفهم !

علي الطنطاوي

تتسنى مع طبائغ الطفل الشرق وغرائزه حتى يتزعزع ، وتجعل  
الحلقة متصلة بين المدرسة والبيت ، في قصص مناسبة تتأسس مع  
نفسية الطفل وعقليته ويثبته وما يهوى سماعه أو يحيل لوعيه بأسلوب  
صحيح فصيح ، إذا حفظه الصبي صغيراً نفعه كبيراً<sup>(١)</sup> . ومن ثم  
يلب الطفل ، وقد سمحت ملكته ، وأثرت النصحي فكمرة<sup>(٢)</sup> .

### إلى الأستاذ علي الطنطاوي :

تفضلت أيها الأخ الكريم فكتبت كلمة جريئة موقفة في  
نقد « النشيد السوري » ؛ ولقد أعجبنى هذا الشعور الوطني الجليل  
الذي يدعوك إلى أن تجدد للوطن أناشيده وأهازيجه كما تجددت  
فيه روح الحرية والاستقلال ، ولكنني لاحظت أنك عندما تعرضت  
لنقد هذين البيتين :

حياة الديار عليكم سلام

أبت أن تذلل النفوس الكرام

قد قلت : « ثم هذا السلام النكسر ، من منكر القول ، وهو  
بلهجة أروام الاسكندرية وأرناؤوط الشام أشبه ؛ وليس يليق  
بهذا المكان ، ولا عمل له في البلاغة » ... قرأت هذه الفقرة من  
حديثك فتوقفت ، وتضكرت ، فذكرت أن قول الشاعر  
« عليكم سلام » تعبير بليغ لا غبار عليه ، وقد اقتدى فيه صاحبه  
بالقرآن الكريم - النزل الأعلى لكل بليغ - ففي سورة هود  
« ولقد جئت رسولنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا سلاماً ، قال سلام »  
وفي سورة التاريات : « هل أتاك حديث خيف إبراهيم الكرمين ،  
إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ، قال : سلام » . ولا شك أن إبراهيم  
قد أراد أن يكون جوابه أبلغ من تحية الملائكة ، اقتداء بأمر الحق  
تبارك وتعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » فاستعمل  
الإسم المرفوع الدال على الدوام والثبوت ؛ ولذلك نرى الإمام  
جاء الله الزعزعي حيناً تعرض لتفسير آية التاريات السابقة يقول  
( م ٤ ص ٢٩ الكشف ) : ( سلاماً ) مصدر ساذج من الفعل ،  
يستغنى به عنه ، وأصله نعلم عليكم سلاماً ؛ وأما ( سلام ) فمعدول به  
إلى الرفع على الابتداء ، وخبره محذوف منناه عليكم سلام ، للدلالة  
على ثبات السلام كأنه قصد أن يحبيهم بأحسن مما حيوه به ، أخذنا

(١) محمد حلي عيسى باشا

(٢) محمد علي علوية باشا

كانت الشمس تنحدر نحو مستقر لها في البحر ،  
فبغت أشعتها المباحدة الكلية وقد راحت تحترق ستور  
الظلام ... وتعت بملكته ، وتيس بين أوراق الطحلب  
فتخلع عليها روعة وبهاء ، وتسيطر على الأطلال فتبث

فيها شيئاً من الرهبة والرواء ...

وورثت الريح رخاء تداعب غصون الأشجار ، وتداول  
الأوراق فيسمع لها حفيف وزفيف ... وكأن صوت الرجل ينبث  
واهناً فيه بعض من الاختلاج والاضطراب ؛ أما وجهه  
فكالصخر جامد لا يتم بمجده على شيء سوى الراحة والهدوء .  
وانساب الألفاظ من لسانه حيناً ، ومن قلبه أحياناً نعيد لسامعيه  
صورة جليلة للأيام الخالية العاصرة بالهناء ...

ولم يلبث أن قال في صوت جليل ، وجرس ندى :

« زعموا أنه عاش في شبه جزيرة القرم سلطان يقال له ...

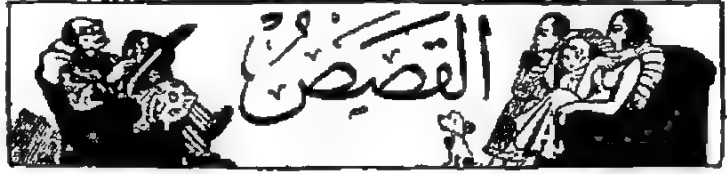
« مسيلة الأشراب » وكان له ولد يدعى « تولىق الجلى » .

كان هذا السلطان كهلاً ، بيد أن قصره ضم كثيراً من  
النساء اللاتي عشن السلطان الكهل ... فما زال جيشة يمزج  
قوة ونشاطاً ، ولا زالت نفسه تمور مرحاً وشباباً ... وما برحت  
النساء يمشقن ذا القوة والبأس ، إذ يقال إن الجمال يكن في ثنائ  
القوة ... لا تحت الأظافر الناعمة والرجفات الأسيلى المخضبة ...

كن جيماً يمشقن السلطان ، ولكن السلطان ينصرف عنهم  
إلى طيبة سباحا في حرب له مع « القوزاق » عند مروج نهر  
« الدنير » ... وكان يخص هذه الفتاة بجل حبه وعطفه وحنانه  
وينفر عن نساءه وجواربه وقد نيفن على الثلثة من كل فج وبلاد .  
سوة منهن المنراء والحدود والبضة ، والمطبول والقيناء والبنانية  
والرقراقة إلى غير ذلك ... كانت كل منهن على جمال رائع كالزهود ،  
وقد تفتحت أكامها في صبيحة يوم اخميان من أيام الربيع ...

لم يبخل السلطان عليهن بمال ... بل كان يتفق عليهن بسعة  
ويجلب لمن ما يوددن ... أتى لمن بالخر الفاخرة ... وبما قد  
وطاب من طعام وشراب . وكان يأذن لمن بالرقص والهوكا  
يحلو لمن . ولكن لإشاره للفتاة القوزاقية بحبه كان ينقص  
عيشهن بعض التنيع ...

كثيراً ما كان يدعو الفتاة القوزاقية إلى جناحه حيث يشرف



أسطورة اسلافية من الأدب الروسى :

## السلطان وولده ...

للأستاذ مصطفى جميل مرسى  
للأستاذ مصطفى جميل مرسى

« يد مكيم جوركي — شيخ الأدب الروسى —  
ضلياً من أقطاب الثورة البلشفية القين مهدوا بما كانوا  
يسطرون لقيامها أمثال ليون تولستوى والأمير كورباتكين .  
ولد جوركي في سنة ١٨٦٨ ، ونشأ فقيراً باني شظف العيش  
وذاق مهارة الحياة بيوت تلك الطبقة القفل من المجتمع .  
فكان ذلك أثر جل في طبع أدبه بطابع البؤس والشفاء .  
وف هذا يصل مكيم إلى ذروة فنه ، وقد لبث جوركي  
يقود الحركة الأدبية في روسيا إلى أن وافته المنية سنة ١٩٣٦  
بعد أن أخرج عدة كتب تعد من روائع الأدب الروسى ؛  
منها الأعماق القفل « The Lower Depths » وكتاب  
« ذكريات الشباب » .

وفي هذه القصة التي تقدمها اليوم للقاء ( الرسالة )  
نهيح جوركي نهجاً جديداً ولكنه رائع منع ... نهجاً يتجلى  
فيه خيال جوركي الحصب ، وأفكاره البديعة ، وساميه الجليلة  
وأساليه الرائعة .

وسيلس القارىء الكريم ذلك بينا في هذه القصة .

٢٠٢٠ جيل

اعتمد « التارى » الأعشى ظهره إلى جذع شجرة من  
أشجار التوت ، وراح يقص واحدة من تلك الأساطير التي  
سطرتها الذكريات في عقله عن شبه جزيرة القرم ... والتف  
حوله حشداً من « النار » في بردهم الموشاة للقفوة ، ومطارفهم  
الزاهية الخلبة ... وقرت فوق رؤوسهم قلائس مطرزة بالذهب ...  
وقد جلسوا على أحجار دارسة ، وأطلال بالية ، كانت جينا قاعة في  
جدران قصر قاهر لسلطان من السلاطين القدماء .

على البحر السبط إلى الأفق ... حيث أعد لها كل ما تطلع  
إليه نفس امرأة وسيفه ونحوه فزادها كي تلحها السعادة في الحياة ...  
الحلوى والفاكهة والشعوف والفلل ... والقلاند من ذهب ،  
والأقراط من شذور ، والوشاح من زمرد ... وتمت الطيور  
المعتدة بأغريد عذبة ...

هذا غير ماميز به السلطان من لطف المشرودماته وفتنة ...  
في هذا الفردوس يقيم السلطان أباماً ولياً يتمتع نفسه بهذا النعيم  
ويتذوق الراحة والسعادة وهي تسمى إليه بعد الفناء الذي يلقاه  
من أعباء الحكم ... يقضى أيامه وقلبه آمن على ولده ... وقدرته  
في أن ينهض بعظمة السلطنة إبان غيبته ... فهو يعلم كيف ينسل  
ولده إلى مروج الروس كالذهب فينزوها ويغير عليها ... ثم يعود  
والنصر يعقد لواءه على رأسه ... فيكلها بآيات المجد والفخار ...  
يعود متغلاً بالنائم والأسلاب ... والسبايا الفاتنة ... يعود بعد أن  
يخلف الدعوى الاضطراب ... وفلول الأعداء ملوناً بالسماء والمزمنة ...



وحدث مرة أن عاد «توليقي» من إحدى غزواته للروس  
فاتراً مظفراً ... فأقام حفلاً دعى إليه الأمراء وعظماء الدولة أتهاباً  
بالنصر المبين ... وعقدت الباربات ومدت موائد الطعام ... وراح  
القوم يقدقون نباهم على أعين الأسرى ليعرفوا من هو أشد الجمع  
ساعداً ، وأسوب رمياً ... وعادوا إلى الشراب يهلون حتى أرعوا  
وهم بين ذاك وذاك يعجبون هذا الفوز والنصر التي أحرزه بطلهم  
العظيم «توليقي الجلي» ... ويشيدون بالخوف والمهلع وقد خلفهما  
ينخران في عظام أعدائهم .

أما السلطان فكان سروره بفوز ولده لا يماحله سرور ...  
وكان يستفد أنه إذا ما انتقل إلى السماء سيستوى على العرش من  
بعده سلطان قوى مرهوب الجانب ...

رغب أن يبدى لولده مبلغ حبه وإخلاصه له - على مرأى  
من شعبه ووعيته - فهم والقبح في يده وقال :

« بنى العزيز » توليقي ... فتح من الله ونصر ميين ...  
والنصر آية من آيات رسوله ونبيه ... »

فارتفع صوت الحشد يترنم بأنشودة حماسية تعجده نصر النبي ،

ثم عاد السلطان فقال : « إن الله عظيم خير ... لقد جدد قوتي  
ومضاني في ولى الأروع ... إلى لأبصر بعيني الفاترين عندما  
يتيب شعاع الشمس عنهما إلى الأبد ، وعندما يدب الفناء إلى قلبي  
الناقض وأقضى نجي ... أنى سأحيا ثانية في حس أخرى ... في  
نفس ولى ... فسبحانك اللهم أنت الإله الأوحد الجبار ... لقد  
رزقتني ولداً عظيماً صلب الساعد ، ثابت الجياش وزين القل  
فانهم إلى أشهد بوحدايتك وقدرتك ، وأشهد أن محمداً رسولك -  
ونبيك .

أبنتى توليقي ... ماذا تبني أن تقدم لك يد أليك ؟ اذكر  
ماتود ، وسأمنحك لواء . »

وخفت صوت السلطان رويداً حينما أخذ «توليقي الجلي»  
يتأهب لإعلان رغبته ، وقد تألفت عيناه تألقت البحر في ضوء  
القمر ... عيناه اللتان كأنهما عينا الثمر وهو يحوم بقلة الجبل ...  
قال أخيراً :

— مولاي وأبت ... امنحنى الفتاة التورزاقية ... »

وصحح الوالد ليهديء من روعه ، ويسكن من نفسه المضطربة -  
وفزاده الجياش ... وبعد برهة رطم سوته ثابتاً لا يتم عما يشتمل  
بنفسه : « ... خذها ... عندما ما يحتم الحقل »

ثلث الهجة والراح قلب « الجلي » ... وتألفت عيناه  
النسرتان بدموع القرح ... وقال لوالده السلطان في حب وبر :

— أى والى ومولاي ... إلى لأقدر مبلغ هديتك لى ...  
إلى لأقدره حق قدره ... إلى ابنك بل قل عبدك المخلص لك ...  
خذ دى ... قطرة في كل لحظة ... سأموت أكثر من مئة فداء  
لك ... يا أبت ويا مولاي ... »

قال السلطان وقد طامأ رأسه إلى الأرض - رأسه التي  
طالما كلاله النصر بآياته سنوات متتاليات - « إلى لأرغب عن  
كل شيء . »



أذنت الولية بالانتهاء ، فهم السلطان وولده يسيران من  
القصر إلى دار الحرم ...

وكانت البهاء تفشيها السحب ، فطوت القمر والنجوم في



فزوجها يعانى من قبحها ويمانى آلام الحمد ومرارة الحقد على غيره... وإن لم تكن بالجيلة ولا بالقييحة راحت تتدل على زوجها وتجعله يعتقد أنه لم يتم بواجبه نحوها ، فعلى إذا مصدر شقاء الرجل وتماسته في هذه الحياة ... »

فقال السلطان :

— ليست الحكمة دواء ناجماً لشقاء القلب ! يا بى

— يا أبت ... يجب أن يشفق كل منا على الآخر

فرفع السلطان رأسه ، وراح يحرق في ولده ... فقال « توليق »

— يا أبت ... دعنا ... دعنا ... تقتلها

فشك السلطان غير طويل ثم قال في تنمة هادئة :

— إنك تحب ذاتك أكثر منها ومنى !

— أجل ... وأنت الآخر !

فقال السلطان بعد هنيهة في صوت شاع فيه الألم ، وشاع فيه الحزن حتى لكأنه ارتد صيماً

— نعم ، وأنا الآخر

— سوف تقتلها يا أبت

— لن أدعك تأخذها لنفسك ... لن أدعك

— لا أقدر على مجاللة هذا طويلاً ... إما أن تمزق قلبي أو

تركها لى . فلم يقل السلطان شيئاً ... « أودعنا نلق بها من شاطئ

إلى البحر فتتردى ... » فراح السلطان يردد هذه العبارة ، وكأنه

رجع الصوت الذى أطلقه ولده ... وهو يهز رأسه في شرود والم

— دعنا نلق بها من شاطئ إلى البحر فتتردى ...

دخلا الحرم ، واتخذوا وجهتهما حيث مرقداه في فراش ونير

نمين ... فوقنا ساهمين ينظرا ... وفي قلب كل منهما لحقة

وشوق ... والم

وأنحدت من مقلتي المجوز دموع فسات على وجنتيه ...

ثم تأملت على لحيته ... وقد حاككت النضة في لون شعرها أما ولده

فقد قام بينين لامعين ... يصر على أسنانه ليخنى ذلك الهوى

الذى يضطرب بين جوانحه ... وقد راح يوقظ الفتاة « القوزاقية » ...

أفاقت من ناسها ، فتحت عيناها على وجنتيها الورديتين فكأنها

زهرة من أزهار الأقحوان ...

حجب منية . دام السير طويلاً في صمت وسكون ... وأخيراً قال السلطان « الأسراب » :

— ستبقى حياتي يوماً بعد يوم ، وسيخفت قلبي في مخفائه

حيثما يصحين ... ومستخدماً رويداً هذه الجذوة المسترة في جسدى ...

جذوة الحياة . لقد كان الضوء الذى يشع لى في حياتي ، والدفء

الذى يمت لى بالحرارة من تلك الفتاة « القوزاقية » ... خبرنى

بُنى « توليق » ... خبرنى إن كنت حقاً في حاجة إليها ... خذ

مائه من حريمي ... خذهن جميعاً ... بدلا منها ... »

صمت « توليق الجلى » ... فناد السلطان التيم يقول :

— لقد نقصت حياتي ... ولن ألبث طويلاً فوق أديم هذه

الأرض ... فدعني أنعم بحب هذه الفتاة ... إنها تعشقتني ... من

ذا الذى سيجبني بعد أن تنأى عني ! يا محبتي ... أنا يا من دبت في

جسدى الشيخوخة ... من ؟ ليست واحدة منهن يا توليق ... »

ولكن « الجلى » لم ينس بيت شقة . « بالله ... كيف يتردد لى

فقس ، وأنا أحسب أنك تماقها ... وأنها تقيك ؟ ... إذا كنا

أمام المرأة يا توليق فلسنا والدأ وولداً ... ليت جروحي ... وقد

تأثرت في جسدى ... نكأت فسال دى حاراً دانقاً منها ... فهذا

خير وأفضل من عيشى حتى هذه الليلة ... »

انتهى بهما اللطاف عند باب الحرم ، فوقفا ... وقد طأطأ

كل منهما رأسه إلى الأرض ... وشاع الصمت بينهما ، وشلهما

الظلام . وفي السماء راحت بعض السحب تطارد بعضها والريح

تغيل الأشجار عن يمين وعن شمال ... وكأنها ترنم لها ...

قال « توليق » في صوت هادئ وزين « يا أبت ... لقد

أحييتنا » فقال السلطان « أعلم هذا ... كما أنى أعلم أنها لا تحبك »

— إن قلبي لينظر حيناً أنكر فيها ...

— وإنى لأشد منك حباً لها ...

وعاد الصمت يخلق فوقهما ويرين عليهما ... فقال « الجلى »

في صوت فيه ألم ، وفيه عزاء :

— لقد أدركت الآن صدق الحكمة القائلة « المرأة خلقت

لثامب الرجل » إن كانت جنباء راحت تتريد الآخرين ليمتبقوها

فتوقظ في زوجها آلام النيرة والحسرة ... وإن كانت قبيحة ،

لم تبصر «توليق» ولكنها مدت شفتيها الأرجوانيتين إلى  
السلطان

— قبلي ، يا نرى العزيز . فقال السلطان في رقة :

— انهضى ... ينبغي أن تأتى معنا ...

ووقع طرفها على «الجلي» ، والسمع يتألق بحبوساً في عيبيه ...  
فا أسرع ما أدركت ، وفهمت كل شئ ، ... وقالت :

— هـ ... سأتى ... سأتى ... ليس لواحد منكما ... اليس  
هذا مبتثفاً ؟ وما قر عليه أسركا ... للقلوب القاسية أن تقرر وعلى  
النفوس الضعيفة الواهنة أن تطيع ... سأتى معكما ...

وانطلق ثلاثهم شطر البحر في صمت وسكون ... سلكوا  
في سبيلهم مسالك ضيقة ، والريح لها صوت كمواء ابن آوى ...  
كانت الفتاة نحيلة الجسد ، هيفاء القد ... فا أسرع ما أدركها  
الوهن والعناء ؛ ولكن كانت تمنأى هذا في صمت ، ولا يند عنها  
ما يتم عليه ... وإذ لمح ابن السلطان ما اعتراها - وكان يسير  
إرهما - أسر لها «أأنت خائفة ؟!»

فلمعت عيناها ، وأشارت إلى قدميها اللاميتين ... فقال وهو  
يبد ذراعيه إليها «دعيني أحملك !»

بيد أنها فرت منه إلى عنق نسرهما المعجوز ... فرقمها السلطان  
كأريشة حامل إياها ... بينما راحت هي تشئ أغصان الأشجار  
وترجمها من أمام وجهه

وطال للسير ... وأخيراً طرق أسماهم صوت البحر وهو  
يسهر ويرجع على مبعدة منهم ... قال «توليق» موجهاً حديثه  
لأبيه «دعنى أمض أمامك» وإلا حدثنى نفسى الأمانة بالسوء ،  
أن أغمد خنجري في ظهرك

— امض ... كما تشاء ... إن الله سيففر خطيتك هذه ...  
ويعفو عن إساءتك ... فقد غفرت لك وعفوت عنك ، إني  
لأعرف ما هو الحب يا بنى !

وأخيراً أبصروا البحر يحتم تحتمهم ... كانت صخرتهم سامقة  
والظلام يسربلها ... الظلام الذى ليس له حد ولا نهاية ؛ وراحت  
الأمواج تهدر بالخان للوت وهو يسرى بين الصخور ... وقد  
أخفاها الظلام يحنه القر والخور .

قال السلطان بعد أن طبع على نحر الفتاة قبة حارة : «وداعاً .

وقال «الجلي» وهو يحنى هامته لها «وداعاً ...» .

ألتفت الفتاة بطرفها إلى ما تحتها حيث صخب الموج يردد  
الخان الرهبة والجلال ... فضمّت يديها إلى صدرها وقالت في  
هلع وفترق «إقذباى ...» .

فد «توليق» يديه إليها وهو يئن وثأؤه ... ولكن السلطان  
أخذها بين ساعديه وضمها إلى صدره وقبلها ثانية ... ثم رقبهما  
فوق رأسه وألقى بها من الصخرة الشاهقة إلى واد سحيق ...  
وارتفعت الخان الموج .. الخان الموت .. أجل رهبة وأشد فزعاً ..  
ولم يُسمع للفتاة صيحة وهى تلقى في الماء ، أو تلقى حتفها على  
الصخور .

وتهاك السلطان على نثر وراح يحملق في الظلام يحاول  
بطرفه أن يخرق سجن الليل ... سجن النيب ... وما برحت  
الأمواج تلطم الصخور في جنون وهوج ... والريح تهب عامفة  
في أعقاب موكب الموت ... نعت بلحية السلطان المعجوز .

وجلس «توليق» جواره وقد دفن وجهه بين راحتيه ،  
لا يتحرك ولا ينبس ... وكأنه الصخر ...

وتقفى الوقت والسحب يطارد بعضها بعضاً في جو السماء ...  
شاعت الكآبة في ثنايا الظلام الرهيب المهيّب ، وكأنها تلك  
الأفكار التي راحت تطوف سوداء بخاطر ذلك السلطان المعجوز ...  
وهو جاثم على هامة الصخرة السامقة ، ومن تحته البحر يهدى في  
واد عميق ... قال «توليق» :

— «أبت ... دعنا نغض ...» .

فنبس السلطان همساً ، وكأنه يتوجس نباح تسمى في الهواء :  
«مهلاً» .

وعاد الوقت يمضى ، والأمواج تتلاطم في عبث وجنون من  
تحتهما والريح تصفر بين الأشجار كمواء ابن آوى ... وعاد الإبن  
يردد عبارته ، فردّد السلطان إجابته ... وكان هذا الترداد مبراراً ...  
كأن السلطان لا يبرح مكانه ... وقد قبر فيه بهجته ومراحه ...  
وأيامه الخوالى ...

بيد أن لكل شئ نهاية ، فلم يلبث السلطان أن قام تشيطاً ،  
ولكن عابس الوجه ، مقطب الجبين وقال في صوت شاع  
فيه الجفاء :

الكلمات تلفظها لرحل يلقى حتفه مأساً راحياً رجل آيس  
من حياته

« دعنى أرحل ... » فقال « توليق » : « الله يا أبت ... »  
« إن الله يعلم ، وسيفقرلى » وبخطا سرية مضى السلطان  
إلى نهاية الصخرة ... وألقى بنفسه إلى أحضان الوادى ... لم يسمع  
شيء فقد عصفت الريح إثر موكب الموت وهو يعفى في جلال  
وراحت الأمواج تدوم هديرها ، وكأنها في عراك عنيف مع  
الصخور ...

وأخذ « توليق » ينظر وبطيل النظر إلى حيث الهوة السحيقة ..  
إلى حيث الموت تحت قدميه ... ثم ارتفع صوته جليلاً ورأسه إلى  
السماء : « يا إلهى ... أسألك أن تلهم قلبى الصبر والسلوان  
وأن تغفر لوالدى وتشمه برحمتك إنك غفور رحيم » .  
ثم مضى عائداً إلى قصره والصمت يحف به ... حتى غيبه  
الليل في مطارقه ... «  
مطفي جميل مرسى

« هيا ... بنا ! »

وانطلقا ... ولكن لم يلبث السلطان أن وقف قائلاً :  
« لم أطلق معنك يا توليق ... وإلى أين ؟ ! لم أعيش  
بعدها ؟ ! لم أعيش بعد أن ذهبت جيداً عني ... إلى هجوز ولن  
يهوانى أحد ثانية ... وإذا لم يهوك أحد فليس تحت خير في أن  
تعيش بهذا الكون ! »

« إنك ذو مال أودو مجد يا أبت ! »

« دعنى أرتشف من ثمرها قبلة من قبلاتها نظير هذا

المال ... »

هذا المجد ... يا بنى . إن الناس جميعاً أموات في هذه الحياة  
والحى منهم هو الذى يمشى النساء ... إن الحياة هباء بغير النساء ،  
يا بنى ... بارك الله فيك وفى ملكك ... فى حياتك وفى ممانك » .  
واتجه السلطان شطر البحر ... فصاح « توليق » فى هلع  
« أبت ... أبت ... » . ولم ينطق بغير هذا ... لأنك لا تجد

## تطلب مطبوعات

### مكتبة النهضة المصرية

من

### الوكالة العامة بالعراق

إدارة المكتبة المصرية لعاصمتها

محمود حلمي

في بغداد ووكلائها في الكويت

تليفون ٦٤٨٠ ، ٤٢٧٦

## مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يعلن المجمع عن حاجته إلى محقق  
حاصل على بكالوريوس من كلية العلوم ،  
ومن يقع عليه الاختيار يمنح الماهية المقررة  
لشهادته في الدرجة السادسة الفنية وتقدم  
الطلبات على الاستمارة رقم ٦٧ ع . ح باسم  
حضرة صاحب السعادة رئيس المجمع بشارح  
قصر البنى رقم ١١٠ في سيمادنايته آخر  
توفير ١٩٤٥ وتقدم طلبات موظفى المصالح  
الأميرية عن طريق مصالحهم ، وكل طلب  
قدم قبل هذا الإعلان لا يلتفت إليه .

٤٤٩٢

طوال أيام الفجر

## مسرحية العجاسة

لؤفها عزيز أمانه بك

المسرحية السامية الخالدة التي شرفت بالتصدير السامي

نجاح لم يشهده المسرح المصري

( مانحة أيام الجمع والآراء ومواريه باقي الأيام )

ظهر حديثا كتاب :

# دفاع عن الإسلام

للأستاذ

أحمد محمد زكريا

وقد زينت عليه فصول لم تنشر

وتحتيه ١٥ قرشاً

ومن الكتاب الشهيرة

يطلب من إدارة « الرسالة »